**السادة القضاة**

لقد اعددت مذكرتَيّ دفاع تخصان دعوى PKK في أوروفة ولم تدرجا من قبل في إطار محاكمة إمرالي.

هذه المذكرات الموجزة نسبياً وذات الابعاد المحلية سيتم الحاقها بالمذكرة العامة التي سيتم تقديمها الى (محكمة حقوق الإنسان الأوروبية).

إن مرافعة محكمة حقوق الانسان الاوروبية التي أعددتها في إطار الدعوى العامة، تتضمن تحليلاً تاريخياً وحضارياً من شأنه إلقاء الضوء على القضايا على نحو افضل، كما انها تنطوي على المحتوى التاريخي والنظري لدعوى PKK في أورفة.

لقد أنهيت قسماً منها. وسأقدمها لاحقاً. أما القسم الثاني فسأنهيه في نهاية شهر آب لأقدمه إليكم.

لقد اعتمدت في مرافعاتي إبراز وإظهار الدروس الواجب استنباطها والمستويات التي يجب الوصول إليها، بدلاً من التركيز على الوقائع الجارية ودراستها.

ففي هذه المرحلة التي اصبحت فيها الإصلاحات الحقوقية والسياسية حديث الساعة في تركيا، توخيت منتهى الحساسية في كتاباتي هذه، اعتقاداً مني وإيماناً بأن إيضاحي لأفكاري كطرف في هذه المشكلة الإجتماعية سيقدم مساهمة مهمة في هذا الخصوص.

وعليه فقد حاولت تدوال التحليل على أسس علمية، كطريق وحيد للحل، لكي ألعب دوراً إيجابياً في الكفاح في سبيل الجمهورية الديمقراطية والعلمانية.

وأعتقد أنني بذلك أكون قد عبَّرت عن موقفي بوضوح تام فيما يتعلق بالتنظيم والشعب.

كما اعبر عن كامل ثقتي وأملي بأن محكمتكم الموقرة ستقيّم مرافعاتي - من الآن فصاعداً على الأقل- على أنها وسيلة مناسبة لتحقيقها في وطننا أيضاً إسوة بالمقاييس العالمية بهذا الشأن.

مع فائق الاحترام
عبد الله أوجلان .

جزيرة إمرالي
٢٠٠١-٧-١٠

**التاريخ يبدأ من سومر** «١»
**وتاريخ سومر يبدأ من دجلة والفرات**

صدق من قال أن التاريخ يبدأ من سومر. ولكن تاريخ سومر يبدأ من دجلة والفرات والأراضي الواقعة بينهما، والتي تتألف من سلسلة جبال طوروس وزاغروس الشامخة، والسهول والروابي التي تحيطها، ويطلق عليها اسم ميزوبوتاميا العليا. وفي تلك المرحلة أطلقت الشعوب ـ وعلى رأسها السومريون ـ أسماء على هذه المناطق، كل حسب لغتها الخاصة بها، ومن هذه الأسماء «جوندوانا» (Gondwana) و«كاردوانا» (Karduanna)، و«أورارتي» (Urarti) «٢» والتي تعني بمجملها «المملكة العالية». وتبين البحوث العلمية الأخيرة أنها أكثر الأماكن ملاءمة بظروفها الجغرافية وإمكانية الري الطبيعي للأراضي لتبدأ فيها الثورة الزراعية وتدجين الحيوانات وتشكل ميراثاً غنياً. إن جمع الثمار وصيد الحيوانات وأولى الجماعات البشرية التي ظهرت في هذه الأماكن في المراحل الاولى من تاريخ الإنسانية، كانت نتيجة لتلك الظروف الملائمة الموجودة.

إن المجموعات الإنسانية الأولى التي يعتقد أنها هاجرت من شرقي أفريقيا إلى منطقة الشرق الأوسط قبل ما يقارب المليون أو المليون ونصف من السنين، وجدت أن هذه الساحة الجغرافية هي الأكثر ملاءمة للعيش فيها، وهكذا أصبحت مكانا للاستقرار فيما بعد، حيث لا توجد أية منطقة مناسبة ومساعدة لذلك مثلما هي هذه البقعة. وقد أثبت خلال تجارب كافة العصور الجليدية والفترات التي تخللتها أن هذه الجغرافية هي أكثر الأماكن ملاءمة للحياة.

بانتهاء العصر الجليدي الأخير قبل عشرين ألف سنة، وفيما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، يبدأ العصر المازوليتي (Mezolitik) «٣». وثمة الكثير من البقايا الأثرية المتبقية من هذا العصر في المنطقة. وبانتهاء هذا العصر منذ مايقارب اثنتي عشرة ألف سنة يبدأ العصر النيولوتيكي (العصر الحجري الأول) «٤».

ويعتقد أن الجفاف الحاصل في هذه الحقبة قد لعب دوراً هاماً ومؤثراً. فنتيجة ازدياد التجربة، والتغير الهام الحاصل في المناخ، تحققت أكبر ثورة إنسانية اعتماداً على الزراعة وتدجين الحيوانات والتي تمتد جذورها ومخلفاتها الأثرية إلى الألف الحادي عشر قبل الميلاد. ويمكننا رؤية البقايا الأثرية لهذه الثورة في المناطق التي تقع بين منابع نهري دجلة والفرات ونقطة التقائهما (منطقة ما بين النهرين).

كما تبين أن أقدم الشعوب سكنت في أراضي أورفة، حيث يمتد تاريخ أولى المجموعات الانسانية التي تواجدت في (نوالي جودي Nevali codi) و (جو بكلي تبة Gobekli Tepe) إلى الألف الحادي عشر قبل الميلاد. وقد تم إثبات أن أول المعابد قد بنيت في هذه الأراضي. وعلى الأغلب أن المناطق المسماة اليوم بأورفة، ديار بكر، ماردين، والمناطق المجاورة لها هي مراكز هذا العصر.

ولاتزال التلال الترابية التي تتراءى لعابري السبيل، والمتبقية من ذاك العصر، صامدة أمامنا ككنز تاريخي لا مثيل له. ولا تزال المئات منها تنتظر الحفر والتنقيب.

إن حفريات أثرية دقيقة في هذه التلال يمكنها كشف النقاب عن أول أعظم الثورات الإنسانية. ولايعود

ذلك الى ظروف استثنائية أو غير عادية لهذه المنطقة بل الى العوامل الجغرافية الملائمة، حيث المناطق الجبلية والسهلية ووجود الغابات، ملائمة لزراعة العديد من المحاصيل وتدجين الحيوانات وتربيتها. أما الكهوف والمغارات الطبيعية فقد شكلت أول الأماكن المناسبة للسكن فيها. فالى جانب الأنهار الكبرى توجد العديد من الروافد والينابيع.

إمكانيات الري هذه، الأمطار الغزيرة، إمكانيات الزراعة وتربية الحيوانات، السكن والاستقرار؛ كل هذه العوامل مجتمعة تشكل ظروفاً مثالية. وهذه هي أسباب كون هذه المنطقة تشكل مهد الحضارات الإنسانية. وتطور الزراعة أدى الى الإستقرار والثورة الريفية التي سبقت الثورة المدنية، التي فتحت بدورها الطريق أمام تغيرات كبيرة في وعي الإنسان وعالمه الروحي.

تعتبر الخيرات الوفيرة، والتزايد السكاني، والاستقرار السكني الحاصل، أكثر ما يلفت الانتباه في تاريخ المنطقة. وقد تجذرت هذه الثورة فيها لدرجة أن الثقافة الزراعية النيولوتكية وذهنيتها، والسلوك الانساني لا تزال مؤثرة حتى يومنا الحالي. كما بقيت ثقافة المجتمع الأمومي سائدة لفترة طويلة من الزمن، حيث تطورت الزراعة وتدجين وتربية الحيوانات بيد المرأة. فالاستقرار كان ضرورة قصوى بالنسبة للمرأة، إذ أن تربية الأطفال، والاعتناء بالحقول والمرابي، تطلب الإستقرار كحاجة لا بد منها. وقد زادت هذه الظروف من أهمية دور المرأة وفعاليتها، وتشكّل ثقافة عبادة الآلهة الإناث. فالآلهة الأوائل كنَّ إناثاً لا ذكوراً. وطغت الصبغة الأنثوية على بنية اللغة. وترجع عادة تسمية أولى الآلهة الإناث بـ «ستارك» أو «ستيرك» أي (نجمة) إلى تلك الحقبة من الزمن حيث رُمِز للمرأة بالنجمة. كلمة «ستار» «Star» «٥» مشتقة من «Istark» . وقد شيدت هياكل هذه الإلهات في أولى معابد القرى التي أقيمت آنذاك. وقد ثبت ذلك من خلال الحفريات.

تعتبر منطقة أورفة من أكبر مراكز هذه الثورة. ومنذ الألف العاشر قبل الميلاد، ساهم الوضع الجغرافي المثالي لأورفة، في أن تصبح مهداً للزراعة وتربية الحيوانات على مر العصور التاريخية الطويلة الماضية. وتدل المرتفعات الترابية والمغارات الموجودة بجوار المياه، على مدى قوة الإستقرار السكني وانتشاره في تلك الفترة بنظام لا يمكن مصادفته في أي بقعة أخرى من العالم. لذا يمكن القول بأن أورفة والمناطق المجاورة لها هي مراكز العهد النيولوتيكي الممتد إلى عشرة آلاف سنة. وكما تعتبر أوروبا مركز العصر الرأسمالي -منذ خمسمائة سنة - فقد تركت الإنسانية في هذه المناطق آثاراً لا يمكن محوها أو إزالتها للأجيال اللاحقة، والتي تشير إلى أنه يعتبر أطول عصر لسكن الإنسان في التاريخ.

كما ينظر إلى تاريخ سومر ومصر على أنه امتداد طبيعي للتاريخ الموجود هنا. حيث أن الإنسانية، وبعد اكتسابها التجارب الغنية في السكن، والزراعة، وتربية الحيوانات وتزودت بالعلم والإيديولوجية والقوة الإدارية، انحدرت نحو ضفاف الأنهار والأراضي الخيرة المعطاءة. إن البقايا الأثرية المكتشفة في فترات متلاحقة تثبت أن الحضارة الموجودة في منطقة سومر ومصر إنما ترجع في أصولها إلى هذه المنطقة، لأنه من غير الممكن - كما يلاحظ - أن تتحقق الثورة الزراعية في الصحراء العربية أو الافريقية. كما ان التجمعات السكنية الاولى على ضفاف الانهار الطينية لم تشهد بداية حضارة زراعية وحيوانية.

توضح هذه الحقيقة تماماً اسباب بدء التاريخ في الحوض الاعلى لمنطقة ما بين النهرين، وخاصة في منطقة أورفة وجوارها. وأشعر بالحاجة للتنويه ثانية بأن ذاك العصر هو عصر الزراعة، تربية الحيوانات،

غرس الأشجار، بناء القرى، بناء المعابد، وترسيخ أول رمز إلهي سماوي للعبادة. إنه العهد الذي عرف المجتمع الأمومي المتمحور حول المرأة، ولدت فيه ثقافة المرأة بكل أوجها وقوتها، ولا يزال تأثيرها مستمراً على البشرية. فحيث نجد الزراعة وتربية الحيوانات والثقافة الأمومية هي الغالبة، ندرك أن ذاك المكان يحمل طابع المكان الأصلي الذي تحققت فيه هذه الحقبة. هذه الثورة التاريخية الأولى والتي انتشرت فيما بعد على أمواج متتابعة، قد تحققت في منطقة أورفة.

وكون منطقة أورفة مركز تلك الحقبة من الزمن لا بد لنا من شرح ماهية بعض المصطلحات. فإن تمكّنّا من القيام بالتحليل السليم لمصطلحات التاريخ مثل، القدسية، واللعنة، نكون قد وصلنا إلى تنوير الذهنية الأساسية التي يجب أن تشكل أسس نهضة منطقة الشرق الأوسط.

يبدأ التاريخ ـ مثلما بينا أعلاه ـ في سومر ومصر. إلا أن ميلاد مصر وسومر يحصل بعد الثورة الزراعية المتحققة في هذه الأراضي، حيث أنه، وبعد تشكل هذه المراكز الحضارية، تبدأ أول إشارات الحضارة بالظهور ممثلة في طرق القوافل الممتدة بين تلك المنطقة وهذه المراكز المدنية. وتنتشر كل التقنيات والأفكار الممهدة للحضارة عبر هذه الطريق إلى بلاد سومر ومصر، ومن ثم رويداً رويداً إلى الشمال، ثم الشرق والغرب. وتظهر كل الاثباتات التاريخية أن الانتشار من المنطقة إلى الجهات الأربع والاستقرار الحاصل في الألف العاشر قبل الميلاد قد حصل خلال فترة تتراوح بين ألف وألفي عام.

تبدأ الحضارتان السومرية والمصرية بالظهور بعد ألفي عام على وجه التقريب من بدء ثقافة تل خلف /Tel xalaf/«٦» الناضجة في العهد الزراعي منذ الألف السادس قبل الميلاد. حيث ولدت الحضارة السومرية ومن ثم المصرية في سنوات ٤٠٠٠- ٣٠٠٠ ق.م، وانتقلت كل القيم والثقافات الحضارية من ميزوبوتاميا العليا والمنطقة الداخلية لسلسة جبال طوروس ـ زاغروس إلى هذه الأماكن.

بعد مرور ألف سنة تقريباً على ظهور الحضارة المدنية المتطورة في بلاد سومر في سنوات ٣٠٠٠ ق.م. انتقلت أول أفواج الهجرات واستقرت على المرتفعات (Ur) إلى ميزوبوتاميا العليا «المملكة العليا». وتعرف مناطق أورفة، حران «٧»، كاركامش وسامسات بأنها أولى أهم مراكز وفود الأفواج اليها في التاريخ. وقد بنيت أورفة على تل مرتفع قريباً من المصادر المائية التي تتشكل منها بحيرة خليل رحمن. والماء يتكافأ معنىً مع الرحمة. هكذا يتم الانتقال من مرحلة القرى إلى مرحلة المدن. وبذلك فقد بدأ التاريخ المكتوب في أورفة وجوارها منذ أعوام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً واستمر الى يومنا الراهن. ويمكن تداول التاريخ بعد تلك الحقبة ودراسته بكل سهولة، أي يمكن تثبيته وفق المراحل الزمنية ومسمياتها، وإيضاحه وفق كل مرحلة والتطورات التي حصلت فيها كلاً على حدة.

### التاريخ مخفيٌ في بدايته:

التاريخ مخفي في بداياته، والذين لا يستطيعون تحليل بداياتهم يصبحون مصدرا للجهالة، والتي ألحقت اكبر الكوارث بعلم التاريخ. لا يمكن غض النظر بسهولة عن مسألة أن يكون مكان ما «مهداً للحضارات». فأي الناس يمكنه الادعاء بأنه لم يترعرع في المهد؟ وإن كان يقال بأن ذلك مستحيل، فلن نتمكن -إذاً- من

فهم حقيقة الإنسانية وقيمها دون فهم مرحلة مهدها وإيفاءها حقها والتركيز عليها. كيف تدّعي بأن «هذا ليس ماضي أنا» بعد ان رعتك هذه الام في المهد لآلاف السنين واعتنت بك الى ان كبرت؟ ان الادعاء «إنا ثمرة المجتمع الطبقي المتشكل في المدن، وهذا ما يهمني فحسب» لا يعبر سوى عن تاريخ الطبقات لا تاريخ البشرية.

مرحلة المهد ليست مرحلة البكاء وطلب الحليب فقط، بل هي مرحلة بداية ظهور اللغة والفكر، المسير والطبيعة، مرحلة معرفة المجتمع والحياة بكل صَفائها، دون سحق أو استغلال أو سرقة، بل بالاعتماد على الكدح فقط. من المؤكد أن التاريخ قد بدأ بهذا المضمون في أراضينا، من هنا فالتقرب السليم يكمن في البدء من مهد الحضارة الإنسانية الموجود في منطقتنا، كونها مفعمة بالقيم الإنسانية الأساسية.

إن إيماننا المطلق بضرورة عدم الشك بوجود أسس الإنسانية وتشكلها لدينا، يعتبر موقفاً صائباً. وفيما بعد ظهر تاريخ الطبقات، والكتابة عن الشخصيات الهامة والحكام والهويات الإلهية. ولكن المراحل التاريخية اللاحقة اتسمت -مع مرور الزمن- بالزيف والخداع على حساب الحقيقة. ومن السلامة بمكان عدم الإيمان بها إن كنا نحترم الحقيقة والتاريخ الحقيقي.

لدى المقارنة بين أورفة والتاريخ، تظهر أمامنا هذه الحقيقة وهذا التناقض بشكل ساطع وملفت للنظر، ولا يزال هذان النمطان من التاريخ موجودين في جوار أورفة: التاريخ المشيد بجهد الاناس الحقيقيين، والتاريخ المزيف الذي سطره الحكام المتربعون على هذه القيم المشيدة واستغلوها بشتى أنواع القمع والزيف والرياء والحيل. لهذا السبب لم تتمكن هذه المنطقة من تطوير فكرها وعقليتها نتيجة ثقل التناقضات التاريخية السائدة فيها، حيث تحجرت العقول مع بدء المجتمع الطبقي، وبدون حل وفك هذه العقدة لن تكون هناك اية قابلية للاستيعاب.

عندما نذكر أورفة، علينا القيام بتحليل مصطلح هام آخر ألا وهو القدسية. ما هي القدسية؟ كيف بدأت علاقاتها مع هذا المكان؟ ومرة أخرى سيكون مرجعنا تاريخ بلاد سومر. تلفظ هذه الكلمة بالسومرية (Kawta) وتعني (الغذاء، الخيرات)، أي كل مفيد مكتسب من الزراعة والحيوانات. وكان الغذاء دائماً مصدراً للخشوع منذ بداية البشرية، لأنها به تستمر في حياتها. ورغم كونه أقل قيمة من الحياة، إلا أنه لا أهم ولا أثمن منه كقيمة تؤمّن استمرار الحياة. وكل مادة قيِّمة بالنسبة للبشرية يتم السمو بها وعبادتها وتأليهها، أي تقديسها.

**الأراضي الخيرة والمعطاءة مقدسة:**

القداسة هي الهوية المسببة لديمومة البشرية واللائقة بأهم الاشياء والموجودات. وبما ان الغذاء يعد اهم واثمن مادة تؤمّن استمرارية البشرية لا يصعب حينئذ فهم اسباب مدلوليته للقداسة بعينها. وهنا أيضا نرى الدهاة السومريين قد انتبهوا لهذه النقطة وأدركوا ماهيتها وأطلقوا عليها الأسماء بناء على ذلك. ويعد تقديس الأمور عاطفة منتشرة في أورفة وجوارها، ذلك ان كل مكان غني بالمقدسات والبركة، وتاريخ

الخيرات والبركة مخفي هنا. اجل انه مخفي ولكن آثاره راسخة في ذاكرة المجتمع بحيث لا يمكن نسيانها أو إزالتها.

تاريخ الخيرات الوفيرة هو جوهر مصطلح (أورفة المقدسة)، وليس سكان أورفة فقط انتهلوا من هذه الخيرات، بل انتهلت منها الإنسانية جمعاء وكبرت بها ولا تزال تتغذى منها وتقتات. ومن يمكنه الاستغناء عن القمح، والشعير، والذرة، والعدس، والعنب، والتين، و.. وغيرها من قائمة خيراتنا اللامحدودة؟.

هذه هي الخيرات التي اعتبرها السومريون مقدسة، وسموا بها لدرجة الألوهية، واحتفلوا بها، إنها تواريخ مخفية. ما هو السر الكامن وراء ظهور هذه الخيرات؟ انه الجهد، جهد الأم، إنها خالقتها، مكتشفتها، والمعتنية بها لتكبر وتنمو، من يدري مدى السعادة والغبطة التي أحست بها عندما جمعت أولى السنابل التي زرعتها واكتشفتها؟ كيف لا وهي تد رك استحالة استمرار الانسانية بدونها؟... هل ثمة عملية أقدس وأثمن من هذه؟ هل يمكن للحروب والتعذيب أن تجد لها مكاناً هنا؟

إن هذه الأم تهتم فقط بالانتاج، ولا تعرف شيئاً سواه تغذي به الإنسانية، هذا هو معنى إنسانية الأم، إنسانية المرأة، إنه في نفس الوقت مفهوم إنساني يعني الإنسانية المقدسة.

إن السومريين يقيّمون ذلك بشكل صحيح، ويعتبرون أهم الادوات المستخدمة لتأمين الخيرات وتوفيرها، مقدسة. بدءاً من المعزقة، والمحراث، والفأس، وحتى الثيران والأبقار، وغيرها من الوسائل الأخرى، لكل واحدة منها إلهاً خاص بها، فكل الخيرات وكل ما يفيد في تأمينها من الارض والحيوانات والامطار والشمس والرياح والاشجار والهواء، إما أنه يتم السمو بها لتصبح إلهية أو يتم تمثيلها بإله ما.

ويتسع نطاق مصطلح القدسية لدينا أكثر فاكثر. إنه على حق لأن الانسانية تتوسع وتتطور وتستمر عبر هذه الخيرات الوفيرة وأساليب إنمائها وزيادتها. ليس من السهل بمكان الانتقال من إنسان الماضي الذي يشبه الحيوان، والمعتمد على الصيد وجمع الثمار، إلى إنسان الإنتاج. إنها ثورة طارئة غير عادية ساحرة ويتم تقديس هذه الحقيقة وعبادتها.

أي أن الغذاء أيضاً والذي يعني القدسية، يكمن في أساس الإلهية، فآلهة الخير والبركة هي الآلهة التي سما الإنسان بها نتيجة ما قدمته من فائدة، صاحبت الانسان وكانت أقرب شيئ اليه، إنها كانت مرحلة تتسم بعدم وجود الاضطهاد، وولادة الآلهة التي تقدم الخير والعطاء. والقدسية هي خاصية لهذه الآلهة. يعني أنها اساس الاغذية الحقيقية، لا كذب ولا رياء ولا اضطهاد عند هذه الآلهة، وأم هذه الآلهة هي الآلهة الأم«٨». هذه هي حقيقة الآلهة وتاريخهم. انه أمر واضح تماماً أن يكمن وراء هذه الآلهة المقدسة جهد الانسان وهوية الخيرات المقدسة والتي تعتبر مصدراً للخيرات، وبما ان اطراف أوروفا مليئة بهذه القدسية، يعني انها مليئة بالآلهة أيضاً. هكذا اذاً تكون أورفا المقدسة.

**وصعدت الآلهة إلى السماء**

وأخذ السومريون هذه الآلهة وجعلوها آلهة للمجتمع الطبقي في معابد الرهبان، وحملوها إلى السماء

وجعلوها آلهة غير مفهومة وغامضة تضرب وتعاقب، وقادرة على إقامة الطوفان وهي بذاتها ممثلة الطبقات الصاعدة، والتي أضفت صفة الألوهية على نفسها، وهذا الأمر هو بمثابة أول اعتداء على التاريخ والوعي البشري، واغتصاب كبير له، ويمثل بداية الكذب، والقمع ونصب شباك المصير السيء القاتم، كما هو بداية إضفاء صفة الألوهية على الكذب والظلم، مع أن الآلهة الذكور على رأس الألهة الإناث التي كانت منتجة وصديقة للبشرية، ولا تعرف القمع والكذب بتاتا، وهكذا تم صنع الآلهة التي تعاقب وتقمع وتكذب في معابد الرهبان وتم تصعيدها إلى السموات وبعدها قاموا بتقديسها أكبر تقديس، وتضخيمها وتعظيمها بقدر ما استطاعوا ووضعوا لها تسعاً وتسعين صفة. وهكذا تم تأليه طبقة الأسياد المتطفلين الذين يكبرون ويعاقبون ويستغلون ويغتصبون، والرهبان السومريون قاموا بهذا العمل بشكل مكشوف، وواضح وأعلنوا عن ذلك كمثيولوجيا«٩» وبحيث لا نحتاج إلى مزيد إعمال العقل والبحث في العلم والفلسفة لفهم ما أنجزوه لنا. وفيما بعد، وكلما ترسخت الطبقة المهيمنة، وادعت أنها تحكم الدنيا، ادعت الآلهة أنها قادمة من الأزل وتذهب نحو الأبدية، ووضعت نفسها في هذه المرتبة والصفة الأبدية، لأن الأسياد هم الحقيقة الكبيرة الحاسمة كما أن الآلهة تفرض ذاتها على عبادها كحقيقة كبرى حاسمة.

إن تصدي سيدنا إبراهيم الذي ينتمي إلى أورفا كما نعلم لهذه الكذبة الكبيرة المتعجرفة كان ذا مفهوم ومضمون حقيقي للقدسية حيث يقول: إن هذه الأصنام لا يمكن أن تكون إلهاً، وأكبرها هو الأبقى، وعندما يرفض نمرود «١٠» هذا الفكر، يقول إبراهيم: «إذا أنا لم أحطم هذه الأصنام، والذي حطمها هو الصنم الأكبر»، وبذلك يوقع نمرود في الفخ، فالواضح أن الحرب هي حرب إيديولوجية وهناك اشتباك بين النظام الألوهي للشعب والنظام الألوهي العبودي للطبقة الحاكمة المتمثلة في نمرود. فنظام إبراهيم الذي يدعوا إلى وحدانية الرب يعتمد على وجود الشعب ووحدته، أو على الأصح يعبرعن وجود ووحدة القبائل. والتخلص من عبادة الأصنام يعني موقفاً وتصديا لقوة الكذب المكشوف، إن اختيار إله مجرد وشامل في تلك المرحلة كمفهوم، يبعث على التفكير العميق، ويحث على رص الصفوف ويؤدي الى التقدم، وتكتسب القدسية معنى غير مباشر وأكثر تعقيداً. ولهذا تضيق الساحة المخصصة للإله، ولكن قوة ووحدة الشعب لا زالت تكمن وراء هذا الامر. ان حملة أورفا الثانية هذه تناهض إضفاء صبغة الألوهية والقداسة على الطبقية وأضفت صفة القدسية على ابراهيم على شكل النبوة أو قدسية الرسل وهذه قدسية تتناسب مع تلك المرحلة وتتيمز بالمقاومة التقدمية وتعبر عن موقف أقرب إلى الحقيقة في صراع الآلهة. فعندما نسمي أورفا بـ (ديار الانبياء) حتى يومنا هذا نرى أسس هذا التقديس تنبع من تقديس الغذاء والجهد، ومعنى كلمة القداسة بالذات. أورفا المقدسة، تعني وطن الأنبياء، وتعني أورفا المرتبط بقدسية النظام الغذائي للرب. وعندما نقول أورفا وطن الأنبياء فذلك يعني انها مركز الأنبياء والرسل، أولئك الناس الذين يمثلون النظام الإلهي للشعب ليتمردوا على النظام الإلهي النمرودي الكاذب الذي يمثل إله الطبقة الحاكمة وقدسية تلك الطبقة. وهكذ كان التاريخ وكانت القداسة في أورفا وجوارها، ولكن المفهوم الثاني (اللعنة) ماذا يعني؟ فهذا المفهوم المتمثل في اللعنة هو أساسي أيضا. إن تحليل مفهوم اللعنة مرتبط بتحليل أورفا بشكل مباشر.

**القداسة تعرضت للخيانة**

ثقافة أورفا التي لا زالت تعاند على القداسة نالت أكبر الضربات على يد الخيانة كما هو معلوم. فنظام العبودية والكذب وعجرفة الاقطاعية استطاع افراغ القداسة من مفهومها حيث تعرض هذا المفهوم السامي والجديد الى الاحتلال من جانب الاطراف المهيمنة المستغلة التي حققت النمو باستمرار مما خلق وضعاً معكوساً تماماً.

فاللعنة هي التسمية التي نطلقها على كل شيء يقوم بتشويه التاريخ الصحيح والقداسة، واللعنة هي اعتداء الكاذب والمتعجرف على الجهد وأصحاب الجهد، وهكذا تبدأ مرحلة اللصوص والمتعجرفين والتي تسمى بالمرحلة الملعونة وتتميز بالاعتداء على ثمرات الجهد، والقرى والمدن والحقول والمعابد وهذا توجه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتقال الى المجتمع الطبقي، حيث شهدت البشرية احتلالات وعقوبات، ونهباً، وحرقاً وتحطيماً، وكذباً وعجرفة لم تشهدها عبر تاريخها. وأصبح من الواضح ان اللعنة تعني عكس القداسة تماماً.

وتصاعد المجتمع الطبقي في أورفا وجوارها وحدث انفجار في مفهوم اللعنة ايضاً، لان ثمار الجهد والغنى أخذ بالتكاثر والزيادة مما أدى الى زيادة الاعتداءات والفرز الطبقي بشكل متداخل بحيث اصبحت أورفا وجوارها غير قادرة على التخلص من الاحتلال والاعتداء والناهبين مرة أخرى، وبدأت اللعنة تحيك شباكها.

وأصبحت المأساة تحل بدلاً من الاعراف المقدسة والأعياد وتوقفت أعياد القداسة وبدأت مرحلة المآسي والنحيب والرثاء التي نجمت عن حلول اللعنة. فالموسيقى الدينية والتغني بالقداسة كان سائداً في أورفا وجوارها من قبل، ولا نخطئ إذ قلنا ان هذه المنطقة شهدت أول موسيقى دينية في العالم، واستمرت في ذلك لمدة طويلة، ولكن مع حلول عصر اللعنة تركت هذه الموسيقى مكانها للرثاء والأساطير والنحيب، وبدأت مرحلة ما نسميه بأغنيات أورفا. وموسيقى القداسة تكمن داخل تلك الأغنية، وهذا يعني بداية الثورة الزراعية وتربية الحيوان التي وفّرت إمكانية الاستمرار للبشرية ومنحتها الغذاء الوفير والثقة بالذات لأول مرة. وهكذا نرى أن الموسيقى لها أسس راسخة في ثقافة أورفا المتجذرة، فالبشرية تصاب بالنشوة عندما تصبح قادرة وواثقة من نفسها على صعيد توفير الغذاء، وهذه النشوة تتحول إلى صوت على شكل أغنيات، فالبشرية تضع الموسيقى لمقدساتها وآلهتها أولاً ثم تضع الرثاء والنحيب للملعونين، وبذلك تنضم موسيقى النحيب والرثاء إلى تاريخ المنطقة.

ويمكننا التوصل إلى كثير من المفاهيم الثقافية إنطلاقاً من هذه المفاهيم الأساسية، مثل الرحمة، الزيارة، الصبر، الشتم، الدعاء، البطولة، العبادة، الأعياد، صلة القربى، الدجل والمعبد الخ.. فثقافة ثورة الزراعة وتربية الحيوان عميقة وذات أبعاد كثيرة، وخيم تأثيرها على كل البشرية في كل القارات وفي كل المراحل.

**ثقافة الآريين:**

لقد أطلق السومريون أسماء مختلفة مثل (الآريين) التي تعني (أصحاب المحاريث) و(أورارتي) التي تعني سكان المنطقة العالية (وكوتي) التي تعني أصحاب الثور والبقر وتربية الحيوان، على الشعب الذي صنع ذلك العصر، فكل هذه التسميات والمفاهيم تأتي من جذور سومرية وتشير إلى سكان ميزوبوتاميا العليا كما نعلم، وهذه الثقافة معروفة تاريخياً بالثقافة الهند أوروبية أو الثقافة الآرية، حيث وصلت هذه الثقافة في الألف الرابع قبل الميلاد إلى سواحل المحيط الهادي، والصين وسواحل المحيط الأطلسي وآخر نقطة في حدود أوروبا.

مع مرور كل يوم ومع ازدياد التنقيب والتوصل إلى حقائق تاريخية جديدة، تتأكد حقيقة أن الثقافة الآرية نبعت وانتشرت من مركز واحد، وخلافاً لذلك كان يعاد تاريخ التمدن والفرز الطبقي إلى السومريين في الألف الثاني قبل الميلاد، حيث بعد ذلك تبدأ مرحلة التاريخ المكتوب، ولكن الحقيقة هي أن التاريخ العميق قد حدث قبل ذلك في الثورة الزراعية التي استمرت أكثر من عشرة آلاف سنة ومركزها هو ميزوبوتاميا العليا، وعصر جمع الثمار والغذاء الذي استمر مئات الآلاف من السنين، أما التاريخ المكتوب فهو يتضمن التاريخ الطبقي على الأغلب وهو التاريخ الحديث نسبياً ويقوم بتحريف الحقائق بدرجة مهمة، ويضفي صفة التقديس على صعود الطبقات المهيمنة السياسي والإيديولوجي، أي أنه التاريخ اللعين الذي يشوه القداسة الحقيقة والتاريخ الحقيقي. يبرز الآشوريون الذين ينحدرون من الأصل العموري«١١» في شمال بابل «١٢» في بدايات الألف الثاني قبل الميلاد بالتجارة المؤثرة فيما بين الأناضول وميزوبوتاميا العليا، ويكسبون القوة والمنعة في التجارة التي يقيمونها بين ميزوبوتاميا الدنيا التي كانت تزدهر بمدنها وميزبوتاميا العليا والأناضول حيث تزدهر الزراعة والتعدين، ويتحول الآشوريون إلى قوة مهيمنة فيما بين ١٣٠٠ق.م و٦٠٠ قبل الميلاد على الصعيد السياسي والتجاري، وتكتسب أورفا مزيداً من المكانة والأهمية لكونها مركزٌ لهذه التجارة والإنتاج الزراعي.

وتلعب أورفا دور العاصمة من حين لآخر في عصر الهوريين «١٣» الذين ينحدرون من الثقافة الآرية -الزراعة والتعدين- وأحفادهم الميتانيين، حيث يسيطر عليها الآشوريون حيناً والهوريون حيناً آخر ثم تتحول إلى أهم مركز للميتانيين، وتستمر أهمية أورفا في عهد الأورارتو، أي أن أورفا تشهد صراعات مكثفة في تلك العصور بين الهوريين والآشوريين والحثيين، وتتعرض لتغيير كبير إلى أن يسيطر عليها الميديون ومن بعدهم تدخل تحت الهيمنة الفارسية، وتتعرف على الهيلنيين «١٤» في عهد اسكندر المقدوني، ثم تدخل تحت الهيمنة الرومانية في عام مائة قبل الميلاد وفي ذلك العهد تصبح عاصمة للدولة (الأبغارية) «١٥» المنحدرة من أصل آري وآشوري. وعندما يحل البيزنطيون محل الرومان يبدأ الصراع بينهم وبين الساسانيين، وتدخل أورفا بيد هؤلاء تارة وأولئك تارة أخرى، وتأتي في مقدمة الأماكن التي شهدت قبولاً للديانة المسيحية التي بدأت تنتشر بين الآشوريين والأرمن والأكراد. كنا قد أكدنا سابقاً بأن أورفا كانت مركزاً لحركات الرسل والأنبياء في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وبشكل خاص تبدأ المرحلة بسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي يمثل التقليد النبوي لقيادة القبائل المحلية ضد سلالة الملوك الذين يسمون

بالنمروديين الذين ينحدرون من أصل آشوري. هذا العرف في جوهره يمثل تقاليد المقاومة التي تتمسك بها القبائل والشعب الساعي لحماية حريته في مواجهة النظام العبودي، ومن جهة أخرى يمثل التوجه من البنية القبلية وقدسيتها إلى عبادة الإله الواحد تحولاً إيديولوجياً كبيراً تحت تأثير المثيولوجيا السومرية، مما أدى إلى ظهور الأديان التوحيدية وانتشارها. الرسل والأنبياء في الحقيقة يصنعون ويمثلون هذا التطور التاريخي، حيث يتضمن هذا التطور تحرراً نسبياً ورداً على الفرز الطبقي، وبأجهزة وتنظيم الدولة يمثلون مرحلة انتقالية بين النظام القبلي المشتت ونظام الدولة بتكوينهم الإيديولوجي. وكان لهذه الأعراف والتقاليد تأثيراً على صعيد ظهور قوى جديدة حديثة. والمَلَكية العبرية الأولى التي تأسست في الألف الأول قبل الميلاد كانت نتيجة لتلك التطورات، هذا التقليد الذي تحول إلى أول كتاب مقدس مع ظهور التوراة الكتاب المقدس سمي فيما بعد بكتاب (العهد القديم) «١٦». وهذه الحركة في الأساس تستهدف وضع انضباط رصين للقبائل التي كانت تناهض السومريين والمصريين وهي حركة متأثرة جداً بالميثولوجيا المصرية والسومرية معاً، أي أنها تعمل على إحداث تغيير في هاتين الثقافتين بما يتناسب مع البنية القبلية، ويستمر التطور من خلال موسى عليه السلام وقوم إسرائيل لتصبح الديانة قومية، ومن خلال سيدنا عيسى عليه السلام تتعرض اليهودية للانقسام الطبقي، ويصبح الكتاب المقدس كتابين (التوراة والانجيل)، والعهد عهدين (العهد القديم والعهد الجديد)، ويبقى العهد القديم كتاباً لليهود فيما يصبح العهد الجديد والانجيل كتاباً مقدساً لكل الإنسانية المضطَهَدة والمسحوقة، ويكسب الإنجيل أهمية بالغة، وفي ذلك العهد تتحول أورفا إلى مركز مهم للديانة المسيحية.

**أورفا مركز إيديولوجي:**

نستطيع أن نفهم بأن الحركة الإيديولوجية التي بدأت في أورفا وجوارها كانت أعمق وأكبر مما نظن، وموقعها يلعب دوراً كبيراً في ذلك، فهذه المنطقة التي تبعد بشكل متساو عن المصريين والحثيين والآشوريين تقع في موقع متوازن بينهم، وتتوفر فيها حرية نسبية. وممثلو المراكز الإمبراطورية ليسوا بأقوياء كثيراً في مواجهة سكان المنطقة، ونظراً لهذه العوامل فإن أورفا تلعب دور مركز أيديولوجي مهم فيما بعد الألف الثاني قبل الميلاد، والبنية الشعبية توفر عاملاً مناسباً جداً لهذا الوضع، فالقبائل الآرية والعمورية تعيش بشكل متداخل، وتستمر هذه البنية الديموغرافية الى يومنا هذا.

من المؤكد أن العرب يقطنون في الجنوب والأكراد في الشمال منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، ثم ينضم إلى هذه التركيبة السكانية كل من الأرمن والأتراك فيما بعد. وتصبح أورفا مركزاً مهماً جداً من النواحي الجغرافية والديموغرافية والاقتصادية والتجارية في مواجهة المراكز العبودية الثلاث أي الاناضول ومصر والسومريون، فهي تقع في وسط هذه المراكز الثلاث وتحظى ببنية قوية جغرافياً وديموغرافياً واقتصادياً مما يخولها لتصبح مركزاً ايديولوجياً وسياسياً قوياً أيضاً، وتظهر هذه الحقيقة من وصفها بديار الأنبياء أورفا المقدسة. هذه الميزة وبروزها الإيديولوجي يتسبب في ردود فعل قوية لدى الشعوب المجاورة ضد

العبودية، وتتحول إلى حركة جماهيرية لتصل إلى مستوى حركة سياسية. وتلعب هذه التطورات دوراً مهماً في ولادة دول من الدرجة الثانية، وتصبح أورفا مركزاً لبعض الدول من حين لآخر، وتستطيع الحفاظ على وضعها هذا حتى الربع الأول من القرن العشرين.

بعد المسيحية تتعرف أورفا على الدين الإسلامي لأول مرة في عام ٦٤٠م. والديانة الإسلامية تساهم كثيراً في تنامي وتطور ثقافة المدن بين أصحاب المهن والحرفيين والتجار في العهد الإقطاعي ونمو التجارة بشكل كبير، وتكسب الطرق التجارية في المنطقة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب بالإضافة الى كونها مركزاً للزراعة وتربية الماشية منذ أكثر من ألف سنة، ولذلك تحافظ أورفا على مكانتها المرموقة ويستمر ذلك إبان انتشار الديانة الإسلامية، وتبقى حتى أعوام الألف بعد الميلاد تحت هيمنة العرب، وفيما بين ٩٩٠-١٠٨٠ تدخل تحت سيطرة الأكراد والمروانيين وبعدها يسيطر عليها أبناء " آرتوك أوغلو" المنحدرين من أصل تركي إلى أن تدخل تحت هيمنة الأكراد الأيوبيين في أعوام ١٢٠٠م، ثم يسيطر عليها العثمانيون في بداية القرن السادس عشر، ويبقى الأكراد كشعب في الصدارة والدرجة الأولى بينما يبقى السريانيون المتبقون من الشعب الآشوري، والأرمن والعرب والأتراك على شكل مستوطنين في المنطقة وتصبح أورفا مركزاً للأديان والأثنيات المختلفة لتحظى ببنية كوزموبوليتيكية، حيث نرى عدم سيادة ثقافة واحدة، وحيث ينبع من كون التعددية الثقافية القائمة تمتد بجذورها إلى أعمق الحقب التاريخية، بينما حافظت القداسة على معناها ومضمونها في كافة العصور والمراحل التي مرت على أورفا، وهذا ينبع كما أوضحنا من الثورة الزراعية وإيديولوجية الأنبياء والرسل، وكون أورفا مركزاً لكل ذلك.

إن هذا التوضيح المقتضب يكفي لتأكيد أن أورفا وجوارها تملك بنية تاريخية متداخلة ومتشابكة، حيث تتداخل الثقافات الدينية والأثنية«١٧» وتضم في جوهرها ثقافة إقتصادية وتجارية عريقة، حيث تتوفر أراضي ريفية واسعة ملائمة لتنمية الزراعة وتنقل القبائل، وقبائل أخرى تعمل بالتجارة وتؤسس نظامها العشائري والقبلي ليصبح نظاماً عاماً شاملاً، بينما الثقافة الدينية والعاملون في التجارة يقيمون في مراكز المدن، أي ان البنية الاجتماعية متنوعة ومختلفة، فوضع المدن يشبه خصائص المدن السومرية، وهذه الصفة مستمرة حتى يومنا هذا، بينما النمروديون الذين كانوا ملوكاً في العصر العبودي، والمهيمنون في العهد الإقطاعي من أمراء وبكوات وأفنديين؛ فقد اصبحوا معروفين جداً على صعيد المنطقة. وحادثة إلقاء سيدنا إبراهيم إلى النار بالمنجنيق المتبقية من نمرود أصبحت رمزاً للحرب الضروس المعتمدة على أسس إيديولوجية واقتصادية، هذا هو وضع أورفا التي وصلت إلى القرن العشرين بمقدساتها ولعناتها، لا تحتاج إلى مفاهيم جديدة للتعريف، ولكن التحول البارز هو الذي نشهده في تنامي مفاهيم القداسة واللعنة.

**أورفا تعاند على القداسة:**

من المعلوم أن ثقافة أورفا التي تتمسك بالقداسة حتى اليوم تعرضت لأكبر الخيانات، فنظام العبودية والكذب والغطرسة الإقطاعية أفرغت مضمون القداسة، فهذا المضمون المرموق المليء بالعظمة تعرض

للاحتلال من قبل الملعونين الذين اظهروا تنامياً باستمرار على شكل استغلال وفرض الهيمنة، مما تسبب في ظهور وضع معكوس تماماً، فبينما تم طُبِع المضمون الحقيقي للقداسة بالملعونين طَبَع الملعونون الحقيقيون أنفسهم بالقداسة، وآل أصحاب الجهد إلى وضع الملعونية، بينما لف أتباع النمروديين أنفسهم بكسوة القداسة، والقاطنون في المدن والمتواطئون معهم من الخارج أقاموا تحالفاً خيانياً لآلاف السنين ضد القيم المقدسة وأصحاب القداسة الحقيقية، ويجب تحليل هذا التحالف بشكل جيد.

وبدون أجراء التحليل الوافي لا يمكن التعرف على الماضي الباهر والإنسانية وجميع المقدسات الموجودة في أورفا وجوارها، ولا يمكن معرفة أنبيائها ورسلها وعشرات الآلاف من أتباعهم أو الإلتقاء مع هؤلاء جميعاً.

ما هي الخيانة التي يرتكبها أعداء القداسة تحت غطاء القداسة ضد الجهد والشعوب؟ وكيف تتحقق الاستمرارية لهذه اللعنة منذ أيام السومريين وحتى اليوم؟ لقد حاولنا إعطاء رؤوس الخيوط لهذا الأمر، فهؤلاء هم الشريحة الخائنة التي آلت إلى وضع مهمش تدريجياً، ويرتكبون خيانتهم ضد المجموعات الشعبية الأثنية، أي ضد الكادحين، وكذلك يمارسون خيانتهم ضد الثقافة المفعمة بالقداسة في نفس الوقت، حيث يقيمون تواطؤهم وعمالتهم مع مراكز القوى العبودية دائماً، ويمارسون القمع والبطش وأساليب التعذيب، وتهددها دائماً برميها الى النار بالمنجنيق، ويستمدون قوتهم من إفراغ القداسة من جوهرها الإيديولوجي وحقنها في الرؤوس والعقول. ولا توجد أي رابطة لهؤلاء مع ديانة الآلهة الأم ولا ديانة ابراهيم بشكل حاسم. انهم لا يعترفون بالاديان مطلقاً بل يجعلونها وسيلة للترهيب والتهويل وهم تابعون لآلهة مزيفة أخطر من آلهة الرهبان السومريين، وينطقون باسم الدين والإله دائماً، وبذلك يحاولون غالباً إخفاء خيانتهم التاريخية. أما علاقات أورفا بالدين فهي الموضوع الذي يحتاج إلى مزيد من التدقيق والتحليل.

تعرضت الحقائق المقدسة لخيانات كبيرة بحيث يجب علي أن أوضح بأنه يجب قبل كل شيء تطهير هذه المدينة من المتدينين المزيفين، ووضع نهاية لهذا الكم من الخيانة ولنظام الرهبان السومريين. ولا يهم مطلقاً إن كانوا أصحاب إدراك ووعي أم لا لأن الوضع متفاقم، ويشكل حلقة قوية، فالمتواطئون من آغوات وأمراء ورؤساء، وشيوخ وبقاياهم في المراكز والضواحي تحولوا إلى عقارب سامة في مهد البشرية والحضارة، وينتجون قيماً سامة، ويجب وضع حد لما جرى تسميمه حتى الآن، فمثلما لم يمنحوا شيئاً للشعب النبيل في تلك البلاد ولم يضيفوا أية قيمة لثقافاتها، يقومون بالتنكر لكل شيء دائماً، وهم يأكلون ويتغذون على خيراتها منذ آلاف السنين، امتنعوا دائماً عن منح أي شيء، بل قاموا بتقديم الغذاء الطيب من أورفا إلى المراكز العبودية على شكل هدايا، والآن يقومون بذلك من خلال تعليبها بالطائرات إلى كل أنحاء العالم، بينما شعب أورفا وجوارها فقراء وعاطلون عن العمل ومعدمون حتى النخاع، على أقدم أرض في العالم وأوفرها إنتاجاً على الإطلاق. وفي هذا المكان الذي تنامت فيه اللغات وانتشرت منه الثقافات لا يتم الاعتراف بلغة الشعب وثقافته فأصبح غير قادر على التعبير عن ذاته، بينما نرى أن الخونة ينشدون كالبلابل ويتظاهرون في مجال الثقافة والبلاغة، ويجعلون من أصوات وموسيقى ومآسي وملاحم الإله والإلهة سلعة رخيصة يسوقونها في المزادات، فالخيانة سمنت وكبرت، وأصبحت ثرية، بينما الشعب المعدم يعاني من الفقر والخرس، وهذا التناقض قائم في أورفا بشكل جاد ومتفاقم جداً.

ووصل الشعب إلى وضع مظلم ومغترب عن جوهر وجود ذاته، ومفاهيم القدسية واللعنة منذ بداية التاريخ أصبحت معكوسة لديه، وقد كان مكاناً لبداية التاريخ بينما الآن أصبح مكاناً لانتهاء التاريخ، وحلت اللعنة مكان القداسة، والقداسة مكان اللعنة وهذا التناقض بقي مستمراً وأكثر تفاقماً مع حلول القرن العشرين، ليكون قرناً ملعوناً من بدايته حتى نهايته، ليبسط سلطته على كل مناحي الحياة على مدى قرن كامل.

مع انهيار الإمبراطورية العثمانية الإقطاعية توجه الأتراك بزعامة مصطفى كمال أتاتورك إلى حركة التحرير ليصلوا إلى تأسيس الجمهورية التركية، وقام أكراد أورفا بدعم ومساندة هذا التوجه.

لقد انضم الأكراد بالكامل كعنصر استراتيجي إلى التحرر الوطني وتأسيس الجمهورية، وتمت مكافأة أورفا برمز البطولة في هذا الأمر، ولكن وتحت تأثير التمردات الحاصلة، لم تنعكس إيجابيات الجمهورية على أورفا وشعبها وإنما استفاد ورثة وبقايا السومريين، والمتملقون للنظام العبودي، الذين لا علاقة لهم بأية قيمة بالجمهورية وأخذوا مكانهم ضمن السلطة دون التقيد بأية مكسب وطني ديمقراطي للقرن العشرين ودون إبداء أي احترام نحوها قام الخونة المحليون المهيمنون بتسيير أعمالهم ومصالحهم بشكل جيد، ولا علاقة لهؤلاء مطلقاً بالإشعاع الحضاري للجمهورية.

لقد قام هؤلاء بتسيير منافعهم ومصالحهم في المدينة وجوارها تحت غطاء القدسية بشخصيات منحطة ناكرة للوجود بشكل أكثر تخلفاً من النظام الإقطاعي، ولهذا لم تستطع البنية الاجتماعية والاثنية للشعب تحقيق أي انفتاح، بل ضاق بها الثوب القديم، وبلاد الخيرات والغذاء المقدس أصبحت تعاني من الفقر المدقع والفراغ الكبير الثقافي وهي في وسط أغنى بقاع الدنيا ثقافياً. وفي الربع الأخير من القرن العشرين أصبحت المنطقة وكأنها تقوم بتجديد ظهور الأنبياء مرة أخرى، وكأن ذلك أصبح مصيرها.

**حكم التاريخ هو البراءة**

ان وضع PKK اليوم من حيث طرحه الدفاع المشروع هو وضع ضروري بكل تأكيد، وأنا مؤمن بان الوضع يجب ان يبقى بالضرورة حتى تنفرج السبل أمام الوحدة الحرة، وهذا اجراء ضروي لصالح كل الشعوب المجاورة والمنطقة برمتها، وما سيحدث بعد ذلك مرتبط بالاجراءات التي تتخذها الدولة المعنية بالامر. فاذا كانت الاعتداءات ستعيق الدفاع المشروع عن الذات فان اجواء العنف ستتصاعد.

بهذا نصل الى مرحلة ظهور وبروز PKK في أورفا، وفي الظاهر يبدو وكأن اسس PKK قد وضعت في انقرة. والحقيقة هي ان الجدال كان حادا حينئذ عن الوطنية المعاصرة وعن الاشتراكية ككل الحركات الاخرى. ومن ثم تبدأ العمليات، وفي النهاية تسكب الدماء ايضاً، وقد أجّريتُ تقييمات شاملة حول PKK وبروزه، وآخرها كانت تقييمات مرافعات محكمة إيمرالي. لا داعي لتكرار ذلك كل مرة، ولكن البعد الذي لفت انتباهي ان هناك علاقة لهذا الامر بالواقع الملموس التاريخي لأورفا، وانا كمؤسس لهذه الحركة، انحدر من اقصى نقطة في شمال أورفا، من قرية (عمرلي) التي تقع على ضفاف الفرات؛ لا استطيع منع نفسي من التساؤل مرارا وتكرارا: ما هي التأثيرات الناجمة عن ذلك؟ هل هي الثقافة القروية السائدة، ام

ثقافة أورفا المتجذرة، ام القيم الانسانية الاكثر ثورية؟ وهل نجحت هذه الحركة لتصبح معاصرة كما يدّعى؟ عندما أعيد النظر الى ممارستي أرى ان الحقيقة التي طبعت هذه الحركة بطابعها وأدت الى الشكل المعاصر المتجدد للحركة النبوية، سمة غالبة عليها ولا علاقة لي بها. وبناء عليه فان PKK ليس له علاقة كبيرة بالقرن العشرين، والعلاقة لا تتعدى الشكل قولاً. وكشخص يجب علي ان اقول بانني لم اكن قد استوعبت روح القرن العشرين ولم اجسد شخصيته. وبناء عليه فقد كنت بعيداً عن فهم الجمهورية التركية وأوروبا والاتحاد السوفييتي في تلك المرحلة ولم اكن املك القدرة على تفسيرها، فالمظهر حضاري والأزياء حضارية، ولكن هناك بعد عن الروح والوعي، والاهم من ذلك عن فهم العالم الذي تجاوز الاقطاع.

**حزب العمال الكردستاني مدرسة مذهلة**

لم اكن قد فهمت واستوعبت العالم الذي تجاوز الاقطاعية ولا علاقة لي على الاطلاق مع العالم الذي تأسس حديثاً، ولم يتم استيعاب اية ميزة من تلك الثقافة. اي ان الطفل بقي لوحده منعزلاً عن كل شيء، والجانب الغريب ان هناك وضع مشابه على صعيد الاسرة والقرية والمدرسة، والاسماء التي تعلمتها من قبيل «الأم والأب والأخ، والمرأة والرجل، المعلم والاقارب» هي مفاهيم تتكرر على مستوى الكلمات. والحقيقة التي تظهر هي: يبدو انني لم افهم من هذه الحياة شيئاً، أو بمعنى آخر يبدو انني لن افهم شيئاً مما يحاولون تعليمه لي، وأحاول ان اكون مثل الآخرين ظاهرياً، وأشعر بالاحترم تجاه الافضل، الا ان الافتقار للجوهر هو الاساس، فليتأسس PKK مثله مثل الآخرين، وليقم باعماله وبذل الجهود اللازمة لذلك ويتطور ويصل الى مستوى حركة ملفتة للاهتمام على المستوى العالمي، وكأن كل ما قمنا به هو لاجل القرن العشرين. ولكن عندما وصلت الامور الى نقطة جدية وبدأت تصل الى حدود الحياة التي لا رحمة فيها، ظهر انه سيتعرض للتشعب، حيث بدأ كل واحد يعمل لـPKK الذي يخصه في نهايات القرن العشرين، والواقع الملموس بدأ يفرض نفسه بكل ثقله، وشعرت بانني بقيت وحيداً أو بالاصح تلك الوحدة التي شعرت بها في البداية والانعزال الذي عشته دائماً، حيث شعرت بذلك من الاعماق وأعربت عن خاصية الشخص الوحيد الذي يحيا خارج عصره، ولكنه ينتمي الى كل العصور، وأوضحت بانني فهمت هذا الامر، والذين يدخلون في مسار التسامي يقتربون من هذه الخصوصية مثلما اعلم. وبمدى ما اقتطعه من العصر والزمن، استطيع التطاول والدخول الى كل الازمنة والعصور وقد عايشت هذه الامور في الواقع الملموس لـPKK ، وPKK مدرسة مذهلة بالتأكيد.

**ليس هناك انفصالية او عنف**

مثلما لا املك خصائص الانفصالية والعنف ولا اقبل بها فانني اعلم بان مثل هذه الميول والتطلعات لم تتطور في داخلي، وانما كل رغبتي وتطلعاتي انحصرت في امكانية نقاش كل شيء بمطلق الحرية ووضع النتائج التي يتم التوصل اليها قيد التنفيذ. هذا ما كنت احبه، وهذا هو الامر الذي راعيته عند تحديد

الاهداف دائماً، وعندما قلت «انني ابحث عن من اخاطبه» كنت لا اضع احتمالاً لهذا الامر، وحدوث الحوار نظراً للانسداد الذي اصاب الواقع التركي. ولهذا لم اثق بالمواقف التي ظهرت بهذا الصدد سواء في عهد أوزال أو في المرحلة اللاحقة ويجب فهم ذلك. فمن الاهمية فهم هذا الجانب في مفهوم الممارسات التي حدثت، اما الادعاءات الأخرى فلا تتجاوز كونها شكلية وظاهرية، وحتى نستطيع فهم مرحلة ايمرالي ابذل جهوداً مضنية، ويمكننا القول ان هذه المرحلة مهمة بدرجة التحام اللحم بالعظم على صعيد الفهم العميق، وأرى كل شيء جد مهم على صعيد الفهم ابتداءا من الكون ووصولاً الى حشرة صغيرة. فإبداء هذه الموهبة امر مهم بحد ذاته. حتى ان فهم استيعاب المفاهيم الكامنة وراء اكبر الحروب، وفهم النضال الحاصل والترتيب الموجود في كل الاشياء واستيعاب ذلك للوهلة الاولى هو الامر المهم لدي الآن. وهذا مهم، وأردت عكس ذلك على PKK .

وقد اوضحت وأكدت دائماً باننا لا نطالب بوحدة وتكامل تركيا وطناً وسياسة فقط بل طالبنا الاستفادة من اصغر الامكانيات المتوفرة ولو بحجم رأس ابرة لوضعها في خدمة الوحدة والتقارب بين تركيا وكل جيرانها من الشعوب والدول بما يتناسب مع روح وجوهر القوانين، وان تحقيق ذلك اهم واثمن من الانتصار في اي حرب كبيرة. وان هذا التوجه يجب ان يكون المفضل ويستحق التضحية من اجله، وهذا ما اقترحته. ويكفي لذلك ان تعرب كل الاطراف وجميع الناس عن ارتباطهم الوثيق بمفاهيم الحقوق الكونية، وان يملكوا القوة اللازمة للاعراب عن ذلك، وعندما يتحقق ذلك فانني واثق من طموحاتي ورغباتي الجامحة للوحدة مع كل الشعوب والدول. وتوجهت نحو هذا الامر دون اي تردد.

### الدفاع المشروع عن الذات امر ضروري

لقد آمنت دائماً بالدفاع المشروع عن الذات، وقناعتي ان هذا الامر هو قانون طبيعي. وعلى الرغم من وجود العدوانية في الطبيعة فان الاساس هو القوانين التي تحافظ على التكوين الطبيعي للكائنات. وهذا هو معنى الدفاع المشروع عن الذات ولا اشك مطلقاً في امكانية ان يقوم شخص واحد بالدفاع المشروع عن الذات بنجاح في مواجهة العالم كله.

والامر ذو الشأن هنا ليس الثقل الفيزيائي للقوى، وانما القاعدة الجوهرية في التطور. وبناء عليه فان الدفاع المشروع الذي يتمسك به PKK في الوقت الراهن امر ضروري ولا بد منه. وانا مؤمن بان هذا الامر ضروري لاجل كل الشعوب المجاورة والدول والمنطقة ووحدتها حتى يتم فتح الطريق امام ممارسة نظام الحقوق الكوني، وتوفير امكانيات الوحدة الحرة الطوعية. وكل شيء بعد الآن مرهون بموقف الدولة المعنية، واذا تسببت الاعتداءات بصعوبات كبيرة للدفاع المشروع فان ذلك سيفتح المجال لتصعيد أجواء العنف.

الدفاع المشروع عن الذات لا يجلب اي منفعة للدولة المعتدية، ولكنه يزيد من المنعة والقوة لمن يتمسك به. والموقف الاسلم والاصح هو فتح الباب امام التحول الديمقراطي التام، والالتزام بالمواقف التي تؤيد وتدعم حل كل القضايا بالوفاق والحلول الديمقراطية، بينما الاستمرارية في الدفاع المشروع سيفتح المجال امام التوتر والاوضاع غير المنتظرة والخطيرة، وهذا امر مفهوم سلفاً.

لقد اوضحت انتقاداتي الحادة لمفهوم الممارسة السابقة وتطبيقاتها الماضية، وحاولت جذبها دائماً الى نهج الدفاع المشروع عن الذات، وعلي ان اعترف بانني لم استطع تحقيق النجاح الذي تطلعت اليه بهذا الصدد، والنتيجة التي توصلت اليها في موضوع العنف هي: يجب ان لا يكون هناك هجوم او اعتداء مضاد ما لم يحدث الاعتداء على حق الحياة، والتعبير الحر عن التماسك بالوجود، ويجب ان لا تهدر نقطة دم واحدة فيما عدا ذلك. وهذه من متطلبات فلسفة الحياة التي أحاول البقاء مرتبطاً بها.

إذا استطاع الإنسان الاحتفاظ بوعيه، وعرف كيف يستنبط الدروس فإنه يكون قادراً على تحقيق أهم مراحل التحول في أصعب الأحداث والمراحل التي يعيشها. وإنني واثق بأني استطعت تحقيق ذلك وسط أصعب الأحداث والمراحل التي عشتها ومررت بها لسنوات طويلة. وفي هذه المرافعة ذكرت النتائج الشاملة التي توصلت إليها. قمت بطرح تحليلاتي بهذا الشأن عن العالم والشرق الأوسط، والوطن والمجتمع والدولة، وعلى ضوئها يجب النظر مرة أخرى إلى الواقع الموجود في أورفا وجوارها، وأنا اعتبر أن تطوير رؤية شاملة في القرن الحادي والعشرين هي مهمة ملقاة على عاتقي.

مطلوب من أورفا ان تقوم بلعب دورها التاريخي مرة أخرى، وأن تضع بداية جديدة للتاريخ وأن تضع كلاً من القداسة واللعنة في المكان الذي يليق بكل منهما. فهي المنطقة التي لازالت تتحكم بها العلاقات الاقطاعية على أرض الواقع وبشكل قوي، وبقايا التقاليد السومرية في الأذهان ليست بقليلة، بينما الذهنية النيوليتية لا زالت سارية في ريفها بنسبة كبيرة، فالقيم الرأسمالية لم تفعل فعلها في الجوهر، وبقي تأثيرها تقنياً فقط، وبذلك فهي تمثل دولة داخل دولة مع جوارها. بينما التعددية الأثنية والثقافية قائمة وموجودة، وبذلك تشبه نموذجاً مصغراً من الموزاييك الإجتماعي في الشرق الأوسط.

فإذا كان الشرق الأوسط يعني شيئاً بالنسبة للعالم، فإن أورفا تمثل نفس الشيء بالنسبة للشرق الأوسط، وتحمل نفس الأهمية، وهذا هو الدور التاريخي الذي نتحدث عنه. وقد زاد هذا الدور بدرجة كبيرة مع البدء بتنفيذ مشروع (GAP). ولا شك أن لأورفا قضايا مهمة ومعقدة على الصعيد الإقتصادي والإجتماعي والثقافي، والاستثمارات المحدودة الجارية ستتسبب في تطورات كبيرة. ولكن القضية الجوهر لا تنبع من هذه المواضيع، بل لها علاقة وثيقة بالإيديولوجية.

الخصائص المحافظة العميقة تتحكم في البنية الذهنية بحيث ينتشر تأثيرها إلى كل أنحاء الوطن، وهذا لا يعني المحافظة الإقطاعية فقط، بل يضاف إلى ذلك المحافظة والرجعية المتوارثة من القوى التي حكمت في كل الحقب والقرون الماضية لتقوم بنشر ذلك على جميع الجهات، ولذلك تبقى ساحة مغلقة أمام الجمهورية الديمقراطية والعلمانية من حيث المفاهيم السياسية والإيديولوجية. وبدون تجاوز تلك الذهنية والمفاهيم السياسية فإن رجعية أكثر صلابة ستعم (GAP) وجوارها. والنتائج التي ستتولد من ذلك لن تكون أقل أهمية من مثال PKK .ويجب قبل كل شيء خوض حرب الهوية الإيديولوجية، والثورة الذهنية يجب أن تكون في مقدمة المهام المطلوبة. أهمية هذا الأمر تظهر جلية في الجرائم التقليدية، فإذا كان اي سلوك طبيعي -ويعتبر من الحقوق الطبيعية- للمرأة يجابَه بإصدار العائلة قراراً بالموت فهذا يعني وجود وضع خطير جداً هناك، ليس على صعيد الحرمان من الحرية وحق الحياة فقط، بل لأن الرجعية والأجواء الثقيلة المتحكمة تشكل عقبة كبيرة على طريق الإستفادة من الطاقات الكامنة للتجمع في تلك المنطقة.

ويسفر عن وضع أخطر من وضع الذين يلجؤون إلى الجبال. ولا شك أن الرجعية تستمد قوتها من الطبقية الإستغلالية والحاكمة على مدى آلاف السنين، والعلاقات الرأسمالية الجديدة التي ستسير ستعمل على تعزيز وتجذير هذا الوضع بدلاً من حله والقضاء عليه، والتجربة التاريخية بهذا الصدد تشكل قوة كبيرة لها.

**يجب تحقيق التنوير في المنطقة:**

التدخل وجهود الإنقاذ على المستوى الإيديولوجي يجب أن تكون ضمن المقاييس الديمقراطية، وعلى شكل انبعاث أو يقظة، فليس هناك أي شيء أثمن من التحول الديمقراطي بالنسبة لأورفا. هناك حاجة إلى مشروع للتحول الديمقراطي ليس أقل من حجم مشروع (GAP). ويجب العلم مسبقاً بأنه لا يمكن تسيير ذلك من خلال حركة تنبع من المجتمع القديم وتنطلق منه ولا من خلال تدخل الدولة، ولا شك أن الدولة والمجتمع لن يبقيا مكتوفي الأيدي، بل سيلعبان الدور المنوط بهما، ولكن المطلوب هو مشروع مجتمع مدني شامل، ويمكن لمؤسسات المجتمع المدني أن تقوم بدورها في الثورة الديمقراطية بالتعاون الشامل إذا توفرت الإمكانيات دون الدخول في اشتباك مع المجتمع والدولة، بل بالتعاون معهما.

تنظيمات المجتمع المدني التي تتأسس حسب الحاجة في كل الميادين ستكون قادرة على تحطيم الذهنية الرجعية. وإذا حصل نجاح في ذلك فإن التسارع سيحصل في الأدمغة التي تعطشت إلى الحرية والتطور لتبدأ حركة التنوير بسرعة. وفي الحقيقة إذا توحدت خصائص مجتمع الأمومة المتبقية في البنية الذهنية لدى الشعب، مع المقدسات المتبقية من الثقافة النبوية، ومع المقاييس المعاصرة للتحول الديمقراطي، فإن ثورة تنويرية عظيمة ستتحقق بدون شك. نظراً لأن ذلك سيؤثر على الأخلاق العامة فإنه سيصبح قوة تبني المواقف الحرة لتحقيق قفزة. حيث يحتاج ذلك إلى وعي تاريخي سليم وكافٍ وإلى العالمية المنهجية والدياليكتيك والفلسفة، والتعليم في هذه المجالات لأهميتها. ويجب تأسيس كثيرٍ من الجمعيات والمؤسسات التعليمية بهذا الشأن. وهناك حاجة إلى حملة في مجال الفنون لدى الشعب. فبدون تحطيم التأثير المخدر والدافع إلى البلادة للفنون الحالية يستحيل تحقيق التنوير وتحرير الروح والأذهان وطرح نقاش واسع في مواضيع تاريخ المنطقة والفنون والبنية الفوقية والتحتية للمجتمع، وسيكون تأثير ذلك مفيداً جداً.

في الحقيقة هناك حاجة إلى حملة إبراهيمية متجددة في موضوع الذهنية، فالأصنام الحالية مترسخة أكثر من السابقة واستطاعت أن تصيب العقول والقلوب بالشلل وبناء عليه يجب التمتع بقوة الفأس الإبراهيمية (معنوياً وفكرياً) وبشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام، فالإحترام الحقيقي للأديان والارتباط

الوثيق بالقيم يتطلب القيام بمثل هذه الحملة. وثورة تحطيم الأصنام الحديثة ستصبح مرحلة إنبعاث حقيقية لأورفا، أما تحقيق التحول الديمقراطي السياسي فهو بمثابة الخطوة المهمة الثانية. وهناك حاجة كبيرة إلى تأسيس الأحزب بشكل خاص. ويمكن لحزب مبدئي لديه قوة كادرية كافية ومؤمن بالتحول الديمقراطي وعلى درجة كبيرة من الوعي أن يشكل قيادة وطليعة للمجتمع المدني، ومنظمات حقوق الإنسان وجمعيات حرية المرأة، وجمعيات الشبيبة يمكن أن تفتح المجال أمام التحول الديمقراطي، حيث يجب أن يأخذ الذين يعطون الأهمية للمؤسسات الإجتماعية ويؤمنون بالوعي الديمقراطي في المؤسسات مكانهم في هذا العمل، أما الذين يفتقرون إلى الإيمان والجهد الكافي فهم غير قادرين على القيام بمثل هذه الأعمال الخيرة. ولا يمكن أن يكون أي جهد مفيداً لأورفا وجوارها مثل الأنشطة الديمقراطية. وبعض المؤسسات الإقتصادية والإجتماعية قد تكون مفيدة أيضاً مثل المنشآت التي تقدم الخدمات الصحية بثمن زهيد، والجمعيات الإستهلاكية أو عدة مزارع، وصالات التدريب الرياضي، كل هذه يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً. وهناك بشكل خاص حاجة إلى انتشار ممثلين حقوقيين في مجال حقوق الانسان في كل القرى والضواحي والحارات. فالوعي الحقوقي أمر مهم بدرجة الوعي التاريخي على الأقل ولا بد من النشاط لأجله. ويمكن لهذه المؤسسات الاجتماعية التي يمكن سرد الكثير منها أن ترغم الدولة والمجتمع على إلقاء خطوات بهذا الصدد. فإذا تحقق النجاح لحركة مدنية إجتماعية من هذا القبيل، فإن ذلك سيشكل أكبر مساهمة في التنوير والوصول إلى إدارة ديمقراطية حقيقية على مدى تاريخ أورفا. إن البنية المتطورة تقنياً مع هذه الإيديولوجية، والبنى المدنية في المجتمع يمكن أن تشكل قوة طليعية في الوجه السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أورفا، فالتراب الخصب الغني يمكن أن يفتح الطريق أمام غنى كبير، وتخرج البطالة والكسب غير المشروع والأمراض من كونها قدراً مكتوباً على الجبين، وبذلك يمكن للمنطقة أن تتحول إلى أوروبا متوسطة الحجم أو تلعب دورها كدولة في الشرق الأوسط.

أن أورفا الديمقراطية يمكن أن تشكل إنجازاً بشرياً عظيماً لتضم زهرة حية نابضة من كل ثقافة وكل مجموعة أثنية في الشرق الأوسط الديمقراطي ليسودها التسامح العميق، وروضة لمقدسات الأنبياء بمضمونها وسماتها السامية وتشكل مركزاً جذاباً مثل الحج. وتبدأ مرحلة أورفا الديمقراطية التي تمنح القوة للشرق الأوسط الديمقراطية. هذه هي النتائج التي توصلت إليها من ديار الآلام الكبيرة ومن معاناتي ومن الأحداث القاهرة التي عاشها PKK وقضية أورفا والحكم الذي سيصدر منها. فحكم التاريخ هو البراءة، وانني واثق من أن الإنتصار الديمقراطي سيكون حليف شعبي ووطني.

عبد الله أوجلان - ايمرالي

٢٠٠١/٧/١٠

**الإتحاد القوي الراسخ يمر عبر الحرية:**

نحن أمام ديناميكيتك تاريخي حقيقي وخاص جداً مليء بالصعوبات والآلام والتعقيد، والقضية الأساسية التي تتطلب التحليل هي هذه القضية المعقدة وهذه الروابط الديناميكيتكية. والسبيل الوحيد إلى ذلك هو السبيل العلمي المتميز بمنتهى الحساسية. وربما حاول PKK القيام بذلك على واقع أورفا دون التعرف على عمق وتشعب الموضوع ودون الوعي بما يجري.

ميزوبوتاميا بشكل عام وأوروفا وجوارها بشكل خاص ستتعرض ضمن هذا الإطار التاريخي إلى فقدان قداستها، وعلى العكس ستحل عليها اللعنة، فالوطن المقدس للأنبياء قد دخل في مرحلة الظلمات والتقزم، هذه حقيقة مؤلمة ولكن الحقيقة هي أن البلادة والرجعية قد بدأت تنصب شباكها وكأنها قدر مكتوب على الجبين، وهذه الأرض التي ساهمت أعظم مساهمة في الحضارة البشرية، وأصحاب هذه الثقافة الجدد بدأوا يتعرضون للخيانة واحداً تلو الآخر.

الموجة الأولى من الخيانة حدثت في أيام الأمويين والعباسيين، عندما حدث الإستيلاء على المنطقة، حيث تعرضت المنطقة لسلطة وعنجهية آغوات الحروب الذين لا مبدأ لهم سوى العنف والدوغمائية «١٨» الدينية والتي تحدد نتيجة افعالهم تلك بدأت تغطي المنطقة من طرف إلى آخر كإنتشار العقارب. أما مراحل الإستيلاء التي تلت ذلك فقد كانت بمثابة تكرار أسوأ للمثال السابق. وأصبحت أورفا والمدن المماثلة مملوكة للنمروديين الجدد الذي هم أسوأ ألف مرة من نمرود الآشوريين والسومريين. وانتشرت البيادق الأسوأ من الأصنام في كل مكان. فالمرحلة الإقطاعية أخذت تعمل في تفتيت الوعي البشري بشكل عميق ومن طرف إلى آخر وتعمل على تعمية الضمير الإنساني. وبدأت تمر مرحلة من اللعنة تفوق «لعنة الأغادين» «١٩». وتحولت الأغاني والأشعار إلى رثاء ونحيب وبكاء على ما ضاع، وناجمة عن الآلام المتولدة من حلول اللعنات. حيث تم وضع تاج اللعنة والإنكار على رأس الثقافة الإبراهيمية والقداسة. وبهذه الوسيلة تنتقم الثقافة الاقطاعية الحاكمة من الثقافة الإنسانية المقدسة، والدليل البارز على ذلك هو أن تصب الاسرة جام وحشيتها على رأس فتاة جميلة يافعة في الخامسة عشرة من عمرها لأنها حاولت محاولة صغيرة جداً للبحث عن الحياة، ومفهوم الشرف هذا الذي تبلور في الرجل هو في حقيقته اللاشرف بعينه، ذلك أنه يعتبر أكثر التصرفات إنحرافاً حقاً من حقوقه الرجولية، بينما يُقابَل نفس التصرف لدى المرأة بأكبر العقوبات. إن هذا مجرد حدث بسيط للإستدلال على الوضع العام. فالحقيقة أن هذا الواقع الملعون يهيمن على كل مناحي الحياة. والجميع يحاول تحليل الأغنية المؤثرة والفلفل الحار لأورفا، وجوهر الموضوع يكمن في تلك الحقيقة. هذه الفترة التي تشكلت على هذا الجرح منذ ألف سنة تكاثفت بغطاء الامبرالية في بداية القرن العشرين، وأصبحت لا تطاق. ويراد لهذا الوضع أن يتفاقم وأن يفوق حد الاحتمال بالزواج القذر المعقود بين الإقطاعية والرأسمالية.

وإذا تم التفتيش والبحث في هذا الغطاء الرجعي فإننا نرى في قاعه وفي كل ذرة منه جوانب انسانية حقيقية، وهذا هو الجانب الآخر الذي يجب إدراكه. فلهذه العملة وجهان، الوجه الأول يتضمن التنكر ورفض

كل القيم الأصيلة الإنسانية وهدمها واهترائها أي البنى الملعونة التي تأسست على ذلك من حيث الذهنية والروح والمؤسسات، أما الوجه الآخر فيتضمن القيم الإنسانية العميقة الحقيقية، والتي بفكرها وروحها تشبه المؤسسة المقدسة للأنبياء. إنه وضع صعب ومؤلم ومعقد ولكنه حقيقة واقعة، ونحن أمام هذا الدياليكتيك التاريخي الخاص بذاته. وهذه الروابط الدياليكتيكية هي القضية الأولى التي تتطلب التحليل. والسبيل الوحيد إلى ذلك يمر عبر العلمية بمنتهى الحساسية والدقة.

ربما قام PKK بذلك دون أن يتعمق في واقع أورفا أو دون إدراك ووعي بذلك الواقع. ولكن حقيقة أن PKK سعى إلى الحرية والتنوير هي حقيقة لا تقبل النقاش، فهو لم يخض أولى ممارساته ضمن مؤسسات الجمهورية، بل قام بها ضد الرجعية الإقطاعية ومراكزها الرئيسية مما يؤكد هذا الأمر.

فهل يمكن أن نسمي هذه الحركة بجانبها هذا بأنها حركة إبراهيمية معاصرة؟ من حيث النوايا هناك تشابه ملفت للإنتباه، فاستهداف الأوساط الملعونة، والنمروديين الصغار يعني خطوة تقدمية لأجل الإنسانية وليس باسم الوطنية والديمقراطية فقط. وهذا لا يتناقض مع الانتماء الجمهوري، بل هو ضرورة طبيعيته للجمهورية لأنها مرغمة لأن تكون مناهضة للإقطاعية إذا تم تقييمها بشكل غير مزيف.

فإذا كان المراد هو إحداث تقدم على صعيد العلمانية والديمقراطية عندها نستطيع القول بأن PKK وصل إلى التحالف الطبيعي مع الجمهورية التركية. فالتحالف الكردي التركي الذي تأسس في العشرينيات من القرن الماضي على أرض الواقع وبإيمان راسخ، حيث تؤكد كل من عنتاب وأورفا ومرعش هذا الواقع. فإن هذا التحالف حاز على جوهر الأخوة بشكل واضح لأجل محاكاة العصر والحرية. ولكن التمردات التي حصلت بعد ذلك والقومية المتطرفة أدت إلى عدم سريان حقوق الأخوة وكان ذلك سوء حظ كبير، والحيلولة دون تطور مرحلة تاريخية مهمة للغاية، ومنح ذلك فرصة لحياة جديدة أخرى للإقطاعية. من هذا الجانب نرى أن PKK يبحث عن شخصية الأخوة والتحرر في الجمهورية، والجانب الذي يستحق الثقة الكبيرة هو مدى قيامه بذلك بإدراك ووعي ومهارة سياسية، ولهذا فإن رؤية PKK على أنه انفصالي في جوهره هي تقييم متطرف.

فقد تبنى PKK شعار «لا يمكن أن تتحقق الوحدة دون حرية» حتى النخاع، ولكن الإدعاء بأنه طالب بدولة كردية قومية منفصلة تحت كل الظروف، إدعاء لا يمكن قوله إطلاقاً. فالنقص أو الخطأ الذي ارتكبه هو أنه لم يقم بتأسيس التنظيم والممارسة السليمة التي تتناسب مع الوحدة الحرة ولم يضع ذلك على النهج الصحيح بمهارة. ورغم أن الإمكانيات كانت متوفرة، وهذه الحركة جادة وقادرة على تقديم أكبر دعم ومساندة وخدمة لجمهورية علمانية ديمقراطية على هذا الطريق الصحيح دون اللجوء إلى العنف، وخاصة الذي يتجاوز الحق المشروع في الدفاع عن الذات، فتلك هي النقطة الوحيدة التي يمكن توجيه النقد فيها إلى PKK . وإلا فإن النوايا، والجهد، والتضحيات تأتي في مقدمة الأمور التي يجب أن تتوفر في حركة مقدسة حقيقية تليق بأورفا وجوارها ومثيلاتها في القرن العشرين.

إنني لا أرى داعياً لتكرار ما قلته عن PKK في المرافعة العامة. وأكتفي بالقول بأن ما ذكرته يسري على أورفا أيضاً، الأمر الذي يحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لأورفا وPKK ، وهو وضع بداية معاصرة في القرن الحادي والعشرين لقداسة الإبراهيمية. والأهم من ذلك كثيراً هو هل يتوفر الوجدان والوعي اللازمان في

التحول الذي يمر فيه PKK ، لأنه بهويته القديمة واسمه القديم لن يستطيع الوصول إلى إحداث هذا التحول في المنطقة مرة أخرى، وأستطيع التوضيح بكل راحة بأن ذلك لن يكون ذا معنى على الصعيد التاريخي. وبكل راحة أستطيع توضيح أن الجمهورية التركية لن تستطيع اضفاء الشرعية على وجودها من خلال العودة إلى الروح الوطنية المشتركة، فالجمهورية تستطيع أن تحقق شرعيتها فقط بتفعيل جمهورية ديمقراطية معاصرة من خلال العودة إلى الروح الوطنية المشتركة التي تحققت بفضل الوحدة الطوعية في العشرينيات من القرن الماضي. أما محاولة نقل البنية الإقطاعية إلى القرن الحادي والعشرين ومحاولات فرض الحظر على الثقافة فلا يفيد سوى في تمهيد الأرضية للإنفصالية. والوحدة القوية الراسخة تمر عبر الحريات والمصالح المشتركة.

هذا الواقع، والآلام على مدى الربع الأخير من القرن العشرين قد تسفر عن ميلاد وحدة مبنية على الأخوة، أما العنف المتبادل والتشكيك وإنكار الوجود لا يسفر عن شيء سوى تسميم الأجواء، وحدوث موجات جديدة من العنف.

إن أورفا وجوارها التي تعتبر من أهم مناطق تركيا والشرق الأوسط، والشرق الأوسط عموماً لا يمكنها سوى تبني المقاييس الديمقراطية الحضارية لتعمل على بعث ماضيها من خلال هذه المقاييس من جديد لتدخل في مسار الميلاد الجديد للحرية. فإذا حدثت مواكبة التحولات الديمقراطية الشاملة وعقد الإرتباط الوثيق معها، عندها يمكن أن يحظى بالدور الذي يليق بالتاريخ مرة أخرى.

إن تدفق الفرات إلى السهول يهيئ الأرضية المادية اللازمة لحملة حضارية جديدة، فالتعرف على التقنية المتطورة تعبر عن خطوة كبيرة على طريق الحضارة الديمقراطية منذ الآن، ولكن أهم عقبة أمام التطور هي الذهنية الإقطاعية ومؤسساتها، وعدم الوصول التام إلى العمل بالجمهورية الديمقراطية العلمانية.

**يجب وضع مشاريع الحل:**

في المرحلة المقبلة يمكن لـPKK أن يحقق ذلك من خلال تجديد تأثيره وتجديد نفسه ليتجاوز هذه النواقص والأخطاء، فهو مرغم على مواكبة تأسيس ديمقراطية قانونية من خلال مشروع مجتمع مدني شامل جداً يستطيع أن يساهم مساهمة فعالة في السلام وفي التحول الديموقراطي. فمشاريع المجتمع المدني تحظى بأهمية مصيرية بالنسبة لأورفا وجوارها، أما المجتمع التقليدي والمفاهيم التقليدية للدولة -ناهيك عن تحقيق التقدم- فلا يمكن إلا أن تخدم الرجعية والتخلف. وسواء دخل المجتمع بكامله في إمرة الدولة أو بالعكس، فإن هذا الطراز لن يحقق أية إمكانية للتقدم والتحول، لأنها تفتقر إلى المبادرة الفردية، فهذا الأسلوب الذي لا يعتمد على مؤسسات المجتمع المدني المعاصر لا يمكن أن يكون خلاقاً. طراز السمسرة يحاول دائماً الحفاظ على مفهوم سياسي، فالسمسرة هي معاكسة تماماً للإنتاجية والإبداع والخلاقية. يمكن للمؤسسات المدنية المتعددة في المجتمع المدني والتي تنتظم وفق برنامج خاص بها كبديل لكافة الميادين الاجتماعية، وتتحرك بموجب مفهوم سليم للعمل وبشكل متناسق؛ يمكنها زج المجتمع

وكافة المنطقة في مرحلة دمقرطة شاملة. والنهضة المادية اللازمة لمشروع كمشروع الـ(GAP) (مشروع جنوب شرقي الاناضول) يمكن أن تصل الى مفاهيمها الحقيقية بمشروع الديمقراطية هذا لا غير. فالديمقراطية والنهضة المادية أمران مرتبطان ببعضهما كالتحام الظفر باللحم، فإذا تطورا وحققا النمو معاً، يمكن أن يسفرا عن نتائج أكثر رسوخا.

ومرة أخرى إذا عدنا إلى عهد سيدنا إبراهيم ونظرنا إلى أورفا. فماذا سنرى؟ سنرى أن توجه سيدنا إبراهيم إلى أرض الكنعانيين هي بداية لتطور تاريخي عظيم، اذ أسفر ذلك عن الثقافة النبوية، ووحدانية الله في الدين، والإيمان بالله، وولادة عالم الأخلاق. وعلى هذا الأساس استطاعت التأثير على التاريخ البشري بمجمله، فالإنسانية التي ولدت في أورفا وجوارها أصبحت كونية وبذلك أثبتت جدارتها، بينما الآن تقف في المؤخرة وقد صب جام اللعنات عليها، وبفضل يقظة جددة نقف أمام ميلاد جديد وجهاً لوجه، ويتولى PKK المهام التي لم تستطيع الجمهورية إنجازها ويريد القيام بذلك الدور، ولكننا لا نستطيع القول بأنه نجح في ذلك تماماً.

فالنجاح لا يمكن أن يتحقق إلا بتفعيل وممارسة مبادىء الجمهورية الديمقراطية العلمانية حقاً، وتحقيق في الأخوة في أجواء السلام، وبذل الجهود المشتركة لذلك، وإنطلاقاً من الإرتباط الصميمي بالذكرى الحية للعشرينيات من هذا القرن في إطار التحالف الأصلي الأول يجب تحقيق ذلك مرة أخرى بين الشعبين الكردي والتركي بالضرورة، ليقوم تحالف يعتمد على الوحدة الحرة وحرية التعبير عن الوجود الثقافي ويجعل ذلك أساساً له.

هذا هو التحالف الأصلي الذي يحدد المصير، إن الإهتمام الدولي بالمنطقة يزداد مع مرور كل يوم، وكما أن تفسير هذا الأمر بكامله على أنه مجرد أهداف إستعمارية هو حكم خطأ، فإنه يجب أن لا ننسى مطلقاً أن الجهود الإستعمارية والإستيطانية تنامت باستمرار منذ عهد السومريين أيضاً. ويمكن قبول الإهتمام الدولي إذا كانت ستتطابق مع المقاييس الديمقراطية الحضارية عندها يجدر الدخول في علاقات التضامن والشراكة ويكون ذلك صميمياً، وبهذه الطريقة يمكن إثبات أن أورفا وجوارها يمكن أن تكون مركزاً لحضارة فوق دولية، وهذه قداسة تليق بتاريخها. ولهذا الهدف فقط يمكن الإستحواذ على ميراث المنطقة الذي شهد ميلاد الحضارة البشرية من جديد، وبروز الحضارة الجديدة سيشكل أرضية تؤثر مرة أخرى على الشرق الأوسط بمنتهى النجاح.

ثم ان الاشتباك المستمر بين قبائل إبراهيم عليه السلام العبرانية «٢٠» والقبائل السامية «٢١» الأخرى، لازال موجوداً في يومنا على شكل الإشتباك العربي ـ الإسرائيلي، فالطرفان غير قادران على إقامة السلام بينهما، والسبب هو إبتعادهما عن ديانة سيدنا إبراهيم وجوهرها. ويمكن لأورفا أن تلعب دوراً بارزاً في هذا النزاع التاريخي أيضاً وتساهم في حله. فالقضايا البشرية يمكن أن تصل إلى الحلول في مهدها التي خرجت منه، وتكون حلولاً أكثر معنى ومضموناً. فادعاء العرب والإسرائيليون بحقوقهم على المنطقة ادعاءات لم تنقص عبر التاريخ، وعروبة حرّان حقيقة واقعة في يومنا هذا، بينما إسرائيل تستمد قوتها من التكنولوجيا العالمية والرأسمالية المالية العالمية عن طريق مشاريع GAP وتقوم بتعزيز مواقعها بالتدريج وتصعد من وجودها. بينما الرأسمال العربي يتبنى مواقف مشابهة. وللطرفين حلفاء أقوياء في الداخل

يستفيدان من وساطتهم. عليهما أن يعلما بأن إستعمارية من الطراز السومري لن تكون مجدية في الوقت الراهن، والفقر المدقع لسكان المنطقة وجراحهم يجب أن لايدفعهما إلى أحلام وخيالات خاطئة. والأمر الصحيح هو دخولهما إلى الطريق الذي يبحث عن الحلول للمنطقة ضمن المقاييس الديمقراطية المعتمدة على أسس التسامح والسلام بين الثقافات والشعوب القاطنة في الشرق الأوسط، وعليهما أن ينظرا للمنطقة ضمن هذه المفاهيم، فللأرمن والآشوريين جهود كبيرة مبذولة في هذه المنطقة، وعلى الأطراف أن تتجاوب بمنتهى الإقدام مع تطلعات هذه الشعوب في المنطقة، فهناك آثار لا تمحى للأرمن والآشوريين في ثقافة أورفا.

ولهذا فإن أممية معتمدة على كل هذه المعطيات، وحتى حضارة ديمقراطية دون دولية يمكن أن تجعل المنطقة تسير في ركب الحضارة بشكل مثالي، وتحقق الإلتحام من جديد بين الديمقراطية البدائية التي افتقدناها منذ المجتمع الزراعي النيوليتي. تتحقق تركيبة حضارية جديدة على أعلى المستويات وتكون جزءاً من الحضارة العالمية، وبهذا الشكل يمكن أن تحيي التقاليد الإبراهيمية ضمن المقاييس المعاصرة لتصبح تقاليد وأعراف كونية وخزائن مشتركة للبشرية كلها. وبذلك يمكن لأورفا الجديدة والشرق الأوسط الجديد أن يصلا إلى مواقعهما الجديدة ليلعبا دورهما بما يتناسب مع تاريخهما.

**سيدنا إبراهيم، الثقافة النبوية:**

وبالنتيجة فإن الثقافة النبوية وتقاليد جدها المؤسس سيدنا إبراهيم تحتاج إلى تفسير وتطبيق معاصر نظراً لأهميتها البالغة، فكلما تم وضع أورفا وجوارها في مكانها الصحيح ضمن التاريخ البشري وتطوره، تتولد إمكانية التقييم بشكل صحيح ويمكننا رسم تخيلات ذات مضمون لأجل المستقبل.

في تلك المنطقة لازال الإهتمام كبيراً بثقافة القداسة والنبوية والتقاليد الإبراهيمية الأخرى، وتمتد جذورها إلى الثورة الزراعية التي تحققت لأول مرة في التاريخ في هذه البقعة. ولا زالت هناك آثار عميقة لتلك المرحلة على المنطقة ولا زلنا نعيشها. والقداسة بحقيقتها تنعكس على العالم الذهني والروحي. ففي جوهرها تكمن الزراعة وتربية الحيوان وبذلك يصل الإنسان إلى مصادر غنية للغذاء. والقداسة تعبر عن المشاعر والأفكار الإنسانية بهذا الصدد، وعلى هذا الاساس تكونت الميثيولوجيا والأفكار الدينية والتصرفات الأخلاقية. والمجتمع الطبقي الذي تأسس على القيمة الفائضة لأول مرة لدى السومريين على شكل مستعمرات، حدثت ردود الفعل لدى شعب المنطقة على شكل الطراز النبوي الذي ترك آثاراً عميقة في التاريخ، ويمثل المقاومة ومؤسساتها. والتطورات اللاحقة سارت على هذا الدياليكتيك التاريخي. والمواقف الاستعمارية التي ابتدأت بالسومريين واستمرت حتى يومنا هذا في جوهرها تتناقض مع ثقافة القداسة، فإحداهما تعتمد على الجهد وعرق الجبين وتتطلع إلى التضامن البشري العميق لمفهوم الأخوة الإنسانية، بينما الآخر يعتمد على الإستيلاء والهيمنة والقمع. وتم رسم التاريخ انطلاقاً من هذا التناقض في أحد أهم وأعمق المكامن تطوراً. وفي يومنا هذا وصل إلى الإنسداد التام والتعقد. حيث يتضور الإنسان باسم الحياة، ويسود تخلف ذهني وروحي كبير، والبلادة والإعوجاج هما السائدان. وهذا الواقع يدفع

بالضرورة إلى ميلاد جديد وإنبعاث جديد. والحضارة الديمقراطية المعاصرة بعيدة تماماً عن التأثير على المنطقة. أما التأثيرات القادمة من الخارج، وخاصة في «GAP» فما هي سوى تكرار معاصر للإستعمارية السومرية ليس إلا. أما الرأسمال العربي والإسرائيلي اللذان ينتميان إلى جذور ساميّة واحدة ويعيشان صراعاً كثيفاً فيما بينهما، يحاولان فتح المنطقة وغزوها من جديد، ويحققان تقدماً خطوة وراء خطوة عن طريق متواطئين أقوياء.

البرجوازية التركية التي تمثل القوة السياسية والعسكرية الحاكمة على المنطقة لم تستطع تأسيس إحتكارها الإقتصادي كما تريد، ومن خلال شبكة خارجية واسعة تحاول تطوير ذلك النظام الإقتصادي الذي ترغب فيه. والأكراد الذين هم شعب المنطقة وكادحوها منذ خمس عشرة ألف سنة جرى إستبعادهم تماماً عن هذه الدائرة. بينما هم يمثلون قوة إقتصادية وثقافية واجتماعية وأثنية أساسية لهذه المنطقة. ويجب العلم جيداً بأنه لا يمكن تسيير وترسيخ إستعمارية معاصرة رغماً عنهم. والتخلف الكبير في الوعي والتحريف وعدم التنظيم القائم يجب أن لا يكون سبباً لخداع أحد، بالإضافة إلى أن التدين المزيف والطرق الصوفية مرغمة على الإنحلال سريعاً، وستخرج من كونها سنداً ودعماً للجبهة الإستعمارية لوقت طويل. وثمة حقيقة أخرى وهي التداخل الكردي والتركي على مدى ألف سنة من التاريخ المشترك في هذه المنطقة. وهذه الحياة المعتمدة في الأغلب على الطوعية والحرية في التداخل، كانت السند والدعم الأهم في حملة التحرر الوطني ضد الإمبرالية في العشرينيات من القرن الماضي. وإعلان الجمهورية التي شكلت أول وأعمق خطوة ثورية في الشرق الأوسط، ولم تستطع تحقيق التحول الديمقراطي المنتظر بسبب التمردات والاعتماد على المؤسسات الإقطاعية. ولم تستطع تفعيل التوجهات الديمقراطية. والرد على ذلك جاء على شكل PKK، وهذه المرحلة التي فتحت المجال أمام الآلام لم تكن بقصد الإنفصال. بل لأجل تحقيق وحدة حرة معاصرة.

وأهم درس يجب استنباطه من قضية PKK، وهو الابتعاد عن العنف والتصرفات التي تشجع على الانفصالية بشكل متبادل، وتبني المواقف الدافعة نحو الأخوة والودة الحقيقة والتي توفر الإمكانيات لذلك بسرعة، والسبيل إلى ذلك يمر عبر الأجواء السلمية، والاعتراف بإمكانية التعبير الحر عن وجود ثقافات الشعوب والعمل على حل كل القضايا على أسس الثوابت الحضارية الديمقراطية.

من الواضح أن هذه المواقف ضرورية لبنية الجمهورية الديمقراطية العلمانية الحقيقية أيضاً. إن المهمة الملقاة على عاتق كل العناصر الواعية من أبناء الشعب الكردي والتركي وفي مقدمتهم PKK هي العمل على تكوين خيار مشروع المجتمع المدني على أوسع نطاق لأجل الحل ولأجل جمهورية ديمقراطية علمانية، وتبذل كل طاقاتها لتحقيق ذلك. مثلما نؤمن بأن هذا هو الحل الصحيح الأفضل، نؤمن بأن أي طريق سواه يساهم في تصعيد التفرقة والعنف والإنكار والآلام، ويؤدي إلى طريق مسدود، ولن يسفر عن أية نتائج سوى ذلك. يجب وضع كل شيء على طريق الحل الصحيح، وتحويل كل الآلام والمآسي الماضية إلى وعي وقوة لأجل خلق المستقبل المفعم بالأمل وإعلان النفير الديمقراطي العام. فكل شيء بات مرتبطاً بالنجاح في تكوين حركة السلام والديمقراطية وترسيخها ونجاحها.

في هذه الحال ما المغزى من توضيح وتفسير القضية الأساسية في المنطقة، وبالتالي ربط سبل حلها

بسيدنا إبراهيم المعاصر؟

١. قبل كل شيء يجب استقصاء الامر بشكل عميق جداً وبما يتناسب مع جوهر الأديان التي تؤمن بوحدانية الإله. فالديانات الإبراهيمية تعني تحقيق المزيد من التقارب ومزيد من الحرية للبشر. وإلا فإن التمسك بهوية ايديولوجية توفر الغطاء لمصالح كل الطبقات الإستغلالية والمهيمنة، لا تمت إلى الديانات الإبراهيمية بأي صلة. وعلى هذا الأساس فإن الإكتفاء بالعبادة في الجوامع والكنائس لا يعني مطلقاً أن هناك ارتباط بسيدنا محمد وسيدنا عيسى وسيدنا موسى، فهؤلاء الأنبياء كانوا يمثلون في عهودهم ذروة التفسير العقلاني المتطور، وذروة التصرفات الأخلاقية، والإرتباط بهم، واحترامهم حقاً يعني احترام وتقدير قوة العقل المتطور في عصرنا وتقدير واحترام أخلاقهم، واتخاذ ذلك أساساً والقيام بما يتطلبه هذا الإرتباط.

٢. ولهذا فإن العبادة الحقيقية ليست القيام بحركات تتكرر على مدى آلاف السنين في الأماكن المقدسة لأن ذلك قد فقد معناه، بل هي تقدير واحترام العلمية والتحرر والفنون، والإرتباط بهذه الحقائق عبر ترتيب الحياة على الصعيد الفردي ولدى المجتمع، فأكبر العبادات تمر عبر العمل على ترسيخ سيادة العلم والتحرر والفنون على حياة الفرد والمجتمع وتوسيعها لتشمل كل أبعاد الحياة.

٣. وباتت شروط الإيمان غير محصورة في الصلاة والصوم والزكاة والحج وكلمة الشهادة وهي الشروط التقليدية، بل تضم أيضاً الإيمان بالعلم والدياليكتيك والفلسفة والوعي بحرية الأخلاق والتصرف والفنون ومفاهيم الجمال، وبضرورة كل ذلك والعمل على القيام بمتطلبات ذلك من القلوب. وتعليم سبل ذلك والتحريض على هذه الأمور في المساجد والكنائس والكنيس وقيادة هذا التوجه هي العبادة بذاتها. فالعبادة الإبراهيمية في جوهرها تتخذ من هذه الحقائق أساساً لها عبر العصور، والقيام بخنق هذه الأمور بتصرفات وحركات مبهمة يعني الوقوع في وضع مضاد لهذه المفاهيم.

٤. وعلى صعيد المهام العملية الملموسة، يجب تعلم الثوابت الديمقراطية المتضاربة من الأعماق، وبذل كل الطاقات بإيمان راسخ لأجل القيام بمتطلبات إحياء هذا التوجه بمنتهى المهارة. وبدلاً من السجدة والشهادة صباح ومساء كل يوم يجب على الجميع القيام بالمهام التي تقع على عاتقهم، وذلك هو الشرط الأساسي للإيمان، فالقول والفعل يعبران عن الإرتباط بالديانة الإبراهيمية. فالديانات الإبراهيمية لا تقبل مطلقاً العبادة والإيمان بأمور غير مفهومة وغامضة ودون القيام بتأسيس وترسيخ روابط الحياة على أعلى المستويات المتقدمة والنجاح في هذه العلاقات، ودون التعاطي مع الأمور اليومية والمعاصرة والفكر العلمي العميق للعصر من فكر وفلسفة وتعلمهما، واعتبار التصرفات الحرة أمراً مقدساً، وإمكانية الوصول إلى التعبير الأفضل للحياة عن طريق الفنون. فالقيام بكل ذلك يعني الإنتماء الصحيح إلى الديانة الإبراهيمية.

٥. ولهذا وحتى يكون أحدهم صاحب ممارسة فعلية يجب عليه أن يكون عضواً في ثلاثة أو خمس مؤسسات المجتمع المدني أو مساهماً فيها ضمن مشروع إنقاذ التاريخ. إبتداءاً من تنظيمات السلام وحقوق الإنسان والأحزاب الديمقراطية. وينضم إلى الإجتماعات العامة ومسيراتها، وتنظيمات تحرر المرأة والشبيبة والاطفال، والعجائز، ومؤسسات الطبع والنشر، والمؤسسات الإقتصادية والتجارية والمالية، وصولاً إلى الرياضة والفنون، وإبتدءاً من المدارس الإبتدائية ووصولاً إلى الأكاديميات التعلمية وأوقاف

الثقافة والتاريخ وكل ميادين العلم والتقنية. والإنتماء إلى كل مجموعة حسب طاقة كل فرد ليتحرك ضمن ثلاثة أو خمس مؤسسات على الأقل، فذلك وحده يعني الإنتماء الصحيح إلى الإبراهيمية الحضارية. أما البقاء بعيداً عن هذه الأمور يعني البقاء بدون أساس، وبناء عليه الحياة والموت بدون عبادة وإيمان.

٦. لقد تغير مفهوم الحلال والحرام في الحياة، فالإحتفاظ بالتاريخ الذاتي والحقائق، وإدراك الوعي المعاصر والتمسك بحرية التعبير في اللغة والثقافة، وإستحقاق ثمن الجهد المبذول واتخاذ النظام السياسي والإجتماعي الذي يحقق هذه الأمور يجعل الفرد قادراً على التمتع بالإيمان وامتلاك حياة حلال ومقدسة، أما العيش خارج نطاق هذه القيم، أي الافتقاد للوعي التاريخي والوعي المعاصر، وعدم التمتع بوجوب امتلاك اللغة والثقافة والتعبير عنهما بحرية، وعدم الحصول على ثمن الجهد وعدم العمل على تحقيق نظام سياسي واجتماعي يضمن هذه الأمور، فيعني البقاء في حياة حرام وبدون إيمان، بل وحياة ملعونة. فالنبوية الصحيحة والتقاليد الإبراهيمية تقوم بتعريف الحلال والحرام ضمن هذه الإطار فقط، وتقوم بمهامها نحو ذلك. وإلا فإن عدم العلم بالحقائق وفي أي عصر كانت وسرد الأدعية والأحجية بلغة أخرى دون العلم بمعانيها ومضمونها والعبادة على هذا الأساس أمر يتعارض حتى مع جوهر الدين. ويعني الخلط بين البيادق والإنسان صاحب الضمير، والغوص في مستنقع الكفر.

٧. إن الدفاع عن أورفا وجوارها وهويتها، والتمسك بهذه الهوية ضمن هذا الإطار، والتمسك بالجهد الخلاق المقدس الذي وجد تعبيره في هذه الأديان الثلاثة العظيمة، والتمسك بحياة حرة كريمة وبجمالها والسلام المطلوب لها، يعني الحياة مع الحقيقة ومقاييس العدل والالتزام بالعقل والضمير. وعندها فقط يكتسب الصوم والصلاة والشهادة والحج والأعمال الخيرية معناه، وعندها فقط يمكن للمرء أن يكون موفقاً وهذا يثبت أنه يسير على درب الأنبياء. والجهاد الحقيقي يكون له معنى إذا سار المرء على هذه الدرب. أما الأنشطة الدينية عن طريق الطرق الصوفية وغيرها سواء أكانت رسمية أو غير رسمية فهي لا تعني شيئاً سوى الجهل والسجود للنمروديين المعاصرين واصنامهم على كافة المستويات، ولا تعني سوى استبدال كلمة النمرود بكلمة الله. وفي الشكل العام في الوقت الراهن فإ ن كل القوى التي تقام العبادات لآجلها باسم الله تعبر عن العبادة للنمرود حسب الأصول. وأكبر جهل نحياه في يومنا هو تقييم الواقع النمرودي على أنه نظام آلهة بشكل أكثر تخلفاً من الرهبان السومريين، لنقوم بخدمة الظالمين والمستغلين دون أن ندري من خلال الأدعية وحفظ كثير من السور والآيات، ونتحدث عن الأحاديث النبوية كثيراً، ونمارس العبادات والطقوس الدينية الأخرى ونرسخ ذلك في الأذهان. وبذلك يكون المرء في صفوف نمرود وطائفة أبي جهل وليس سواهما. هذا الجهل السائد منذ مئات السنين وأصنام هذا الجهل، يجب أن تتحطم وتتمزق ضمن الإطار الذي تحدثنا عنه ـ أي بمقاييس الحضارة الديمقراطية وبما يتناسب مع تاريخ الحرية وبالوعي والدفاع المشروع عن الذات، وهذا يعبر عن الإرتباط الوثيق بالقداسة الإبرهيمية حقاً.

وعند تقييم النمرودية المعاصرة وأصنامها ضمن هذه المفاهيم، والقيام بمطلباتها يكفينا التحدث عن السير على درب الأنبياء والشخصيات المقدسة، وعندها فقط نستطيع امتلاك الإيمان والأخلاق الصحيحة.

وانا، كمسؤول عن PKK يأتي في مقدمة المسؤولين عن الحياة في أورفا وجوارها، أنا واثق من أنني

تقدمت بالنقد الذاتي أمام التاريخ ودافعت عن نفسي بشكل صحيح على هذا الأساس أمام العصر. وإنني مؤمن بأنني استطعت إلقاء الضوء على السبيل الضروري المفيد الذي يجب سلوكه لأجل وطننا والمنطقة والبشرية. ومن الآن فصاعداً ستكون الحياة لأجل مزيد من الاستغفار ولأجل مزيد من الحرية وإنني واثق من أن الجهل سينال ثمنه، وأن التاريخ سيكون الشاهد الحقيقي في هذا الموضوع. وأعبر عن أملي في تحقيق ذلك، وأدعو الجميع إلى القيام بما يقع على عاتقهم، وأقدم احترامي.

عبد الله أوجلان ـ إيمرالي
٢٠٠١/٧/١٠

## معجم المصطلحات

**١- سومر:** هي البلاد التي احتضنت اقدم حضارة في الكون وكانت مهدا لها، وتقع في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين «دجلة والفرات»، والتي اطلق عليها فيما بعد اسم بلاد بابل. تمتد حدودها في ايامنا هذه من بغداد الى خليج البصرة في الجنوب. والسومريون شعب مؤلف من جماعات مختلفة نتجت عن تصاهر الميديين وشعوب اخرى ذات اصول سامية، وبشكل عام يعتبر السومريون من الشعوب السامية.

**٢- اورارتو:** حضارة تأسست في شمال كردستان في نهايات العهد البرونزي وبدايات العهد الحديدي، وكانت بحيرة وان مركزا لها.

**٣- العهد المازوليتي:** حقبة كانت بين العهدين البالوليتي والنيوليتي. وقد بدأ بانحلال الجليد المنتشر على وجه البسيطة، مما ساعد على انتشار الجماعات البشرية في اماكن عدة على فترات زمنية مختلفة. وقد عاش الانسان في هذا العهد يقتات على الصيد وجمع الثمار، واول آلة صنعها الانسان في هذا العهد من الحجر، والتي يطلق عليها اسم «ميكروليت» تختلف تماما عما صنعه في الحقب السابقة. وبسبب كون اقليم آسيا العليا آنذاك اكثر دفئا، ابتدأ هذا العهد فيه قبل اوروبا، واستمر مدة اقصر. فبينما استمر في اوروبا من ١٥٠٠٠ ق.م الى اواسط ٦٠٠٠ ق.م، فقد كانت مرحلة الانتقال الى الزراعة وتدجين الحيوانات قد بدأت في آسيا العليا وخاصة بلاد الاناضول بدءا من عام ١٥٠٠٠ ق.م الى ٨٠٠٠ ق.م.

**٤- العهد النيوليتي:** ويعرف بالعصر الحجري الحديث، وهي المرحلة الثالثة من مراحل تطور حضارة ما قبل التاريخ، وتكون بعد العهد المازوليتي وقبل العهد الكالكوليتي. وقد بدأ في آسيا العليا وبلاد الاناضول في اعوام ٨٠٠٠ ق.م الى ٥٥٠٠ ق.م. ونظرا لدفء الشروط الجوية فقد ترك الانسان المغارات ليسكن في البيوت مستخدما الحجر والشجر والقرميد في بنائها. وقد تحققت اكبر الثورات في تاريخ الانسانية في هذه الحقبة من الزمن من قبيل صنع الانسان لمأكولاته بذاته لأول مرة. اي انه قد بدأ بالزراعة وتدجين الحيوانات.

**٥- ستار:** وهي كلمة مشتقة من كلمة ستيرك الكردية، وتعني النجمة. وهي إلهة الحرب والحب، ومن اشهر الالهة في ميزوبوتاميا. وكانت تستخدم بمعنى الالهة في العصور القديمة، ولا زالت كلمة ستار مستخدمة بشكل شائع في اللغة المحكية عند الاكراد، واخذت اشكالا متعددة في لغات الشعوب المختلفة، اذ اطلق عليها السومريون اسم اينانا، او نانا، وفي بعض

النصوص تظهر باسم نينا، واحيانا اخرى إينّاناس. وعبدها البابليون باسم أنيميتا، وتقبّلها الايرانيون باسم أناهيتا، وسماها الفينيقيون عشتار او عشتريت. واليونانيون يذكرونها باسم استارتا، وعبدها الاشوريون باسم عشتارت. يرد اسمها في الكثير من النصوص بمعنى ملكة الالهة. كانت عبادتها من اخطر العبادات المنافسة امام انبياء الديانة الموسوية لدى اليهود لعصور طويلة، وتسببت في نشوب صراعات حادة ومريرة. توصف احيانا بأنها ابنة للإله سِن، واحيانا الشقيقة التوأم للإله شَمَش، وفي بعض الاحيان شقيقة إلهة جهنم اريشكيجال، واخرى أمّا للإله تموز او عشيقة له. وتذكر في ملحمة جلجامش بأنها قد عشقت الملك، وعندما لم تجد ما تهواه منه عملت بكل ما بوسعها للتخلص والانتقام منه. توصف في اماكن اخرى كرمز للعشق والهوى والجنس، او الالهة الام. وتشتهر بقصة نزولها الى جهنم والعالم السفلي شفقة بالمعذبين فيه، وتصعد الى العالم العلوي بعد زواجها من الاله آنو.

**٦- ثقافة حلاف او حَلَف او تل حَلَف:** وهي المكان الذي وجدت فيه بقايا الثقافة العائدة الى العصر الحجري الحديث فيما بين ٥٥٠٠ ق.م -٤٣٠٠ ق.م والتي وصلت قمة تطورها في القرن الثامن قبل الميلاد ايام الامبراطورية الاشورية. تقع بالقرب من منطقة رأس العين بسوريا على ضفاف نهر الخابور. وهي اولى المكتشفات في ميزوبوتاميا والتي تعود الى تلك العصور. وقد قام خبراء الآثار الالمان بإجراء التنقيبات الاثرية فيها خلال ١٨٩٠-١٩٢٧ . ويعتقد بأن منطقة غازا هي تلف حلاف ذاتها التي تم تهجير بني اسرائيل اليها في عام ٧٢٢ كما ورد في العهد القديم او التوراة.

**٧- حران:** موقع اثري قديم قرب وادي كولاب جنوب محافظة اورفا، وهي مركز ناحية آلتون باشاق التابعة لمنطقة آقجاقالة في وقتنا الراهن. وكانت تمثل موقعا استراتيجيا في العصور القديمة على الطريق الواصل بين نينوى وكاركاميش «الموصل- جرابلس» الحالية.

**٨- الإلهة الام:** رمز يطلق للتعبير عن الخلق والبركة والقدرة الجنسية والولادة وتربية الاطفال. وقد امتد استعمالها منذ العصر الحجري القديم على هياكل فينوس وصولا الى الام مريم وبأشكال ومعانٍ مختلفة.

**٩- مثيولوجيا:** كلمة مشتقة من ميث، والتي تعني الحكاية او القصة او بالاحرى الاسطورة. ومتطورة عن الكلمة اليونانية ميثوس التي تشير الى الكلام المنظوم والموضوع الخرافي وتصور الخيال والتهيؤات والظواهر الخارقة ونظم الخيال. لذا فهي بعيدة عن العلم والمعرفة والمنطق، ولا يمكن تطبيقها على ارض الواقع او قياسه بها. وهي محصورة في حدود الاعتقاد، وتولدت من حاجة البشر الجاهلون لتفسير الظواهر الطبيعية والكونية كالرعد والبرق والصواعق. فالمثيولوجيا هو ذاك العلم الذي يجمع تلك الاساطير ويتحدث عنها ويهتم بها، وهو علم تاريخي يهتم بدراسة العقائد والالهة وانصاف الالهة والابطال والعظماء في العصور الاولى.

**١٠- نمرود:** الملك الذي لا يؤمن بالله، وهو العدو اللدود للنبي ابراهيم حسب مثيولوجيا الديانة الاسلامية. ويرد اسمه بعدة أشكال: نَمرود، نِمرود. وقد كان ملكا لأورفا ولا يعتقد بالله، وألقى بالنبي ابراهيم في النار كي يحرقه، وابتلاه الله بدودة دخلت في انفه، وتحركت في رأسه فسببت له آلاما مبرحة، واضطر حراسه الى ضرب رأسه بالمطارق لتهدئته، وقد مات وهو على تلك الحال. وقد اطلق اسم نمرود على ملوك المدن السومرية قديما.

**١١- العموريون:** كلمة سومرية اطلقت على الشعوب التي جاءت الى سومر من الغرب، وهي تسمية عامة للشعوب السامية.

**١٢- بابل:** وهي أشهر المدن في العصور القديمة، وعاصمة للحضارة البابلية التي قامت في جنوب بلاد مابين النهرين في الفترة الواقعة بين ٢٠٠٠ إلى ١٠٠٠ ق.م وكذلك بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. توجد بقايا تلك الحضارة على امتداد نهر الفرات، وبالقرب من مدينة الحلّة جنوبي بغداد بـ ٨٨ كم.

**١٣- الهوريين:** احد اهم الشعوب التي لعبت دورا هاما في تاريخ وثقافة الشرق الاوسط في الالف الثاني قبل الميلاد. ونصادف استخدام أسماء الاشخاص والاماكن في اللغة الهورية فيما بعد عام ٣٠٠٠ ق.م، بحيث تظهر لنا ان سلسلة جبال زاغروس شرقي نهر الفرات كانت مسكنا للهوريين. كما ثمة دلائل تشير الى انتشارهم الى اماكن مختلفة باتجاه الغرب في بدايات عام ٢٠٠٠ ق.م. ونتيجة الهجرات الجديدة الآتية من الشمال فيما بعد ١٧٠٠ ق.م نرى هجرات اكثر شمولية للهوريين باتجاه الغرب ايضا الى المنطقة الواقعة بين بحيرة وان وسلسلة جبال زاغروس. وتشير الدلائل الى ان الهوريين قد دكوا عرش الامبراطورية الاشورية وبسطوا سيطرتهم على المنطقة من بعدهم. لقد أثر الهوريون على العديد من الجماعات

الموجودة في الاراضي السورية، وهيمنوا على شرقي الاناضول، في حين تشير الحفريات الاثرية الى ان ميزوبوتاميا كانت مسكن الهوريين.

**١٤- الهيلينيون:** وتعني الكريتيون او اليونانيون. ويعتبر الهيلينيون المصدر الاساسي الذي اقتات منه العالم الغربي من عدة نواحي، ويتميزون بفنونهم الرائعة وتجاربهم في ميادين العلم، ويتمتعون بميراث قوي وغني. وباتحادهم مع اصول الحضارة الكريتية، وتعرضهم لانقلابات جذرية يحافظون على ميراثهم ذاك لمدة طويلة لا يستهان بها. وتعود جذور المستوطنات الاولى التي سكنتها الجماعات البشرية الاولى الى ما قبل ٦٠٠٠ ق.م.

**١٥- الأبكار:** إحدى القبائل الهورية ذات الأصل الآري التي حكمت أورفا لفترة زمنية معينة.

**١٦- العهد القديم (العهد العتيق):** وهو الكتاب المقدس لدى اليهود «التوراة»، وتعني المعاهدة أو التعاهد القديم.

**١٧- أثنية:** كلمة تطلق على المجموعات البشرية ذات الهوية المتميزة "لغويا، تاريخيا، حضاريا، ثقافيا..."، ولا تمثل الاغلبية في ظل دولة ذات كيان سياسي معروف ومعترف به، وتتعدد فيها القوميات والشعوب، أو تعايش تلك القوميات الصغيرة في ظل سيطرة قومية أخرى تمثل الأغلبية. وهي الشكل الغالب لكثير من الدول في عصرنا الحاضر ذات الطابع التعددي. والتعدد الأثني، أو بمعنى آخر التعدد العرقي، يعني في وقتنا تواجد أو وضع عدة شعوب أو امم ذات أصول تاريخية مختلفة في ظل حكم جماعة أو مجموعة ما عن طريق الفتوحات، والاستفادة من قواها أو مهاراتها واجبارها على العيش في مناطق أخرى غير مواطنها الأصلية أو تهجيرها منها، وممارسة الضغوطات الدينية والسياسية عليها. وهي نتيجة سلبية غير مباشرة للتطور الصناعي والاقتصادي على مر العصور. وقد اكتسب هذا المصطلح معناه الواسع والعريض على المستوى الدولي مع تصاعد وتيرة الحركات التحررية الساعية الى تقرير مصير تلك الامم والشعوب "الاقليات"، وانتشار الافكار الديمقراطية على المستوى العالمي، مما لفت الانظار الى اهمية هذه الاقليات ودورها السياسي في تلك المجتمعات. وقد تم قطع مسافات ملحوظة في تنوع طرق حل هذه المشكلة.

**١٨- الدوغمائية:** الاعتقاد أو الإيمان الأعمى بالمفاهيم والظواهر بدون براهين أو أدلة عقلانية أو مادية، أو رفض تلك الأدلة والاكتفاء بالقناعة النابعة من الأحاسيس والغرائز أو المصالح. وفي هذا السياق تطلق الدوغمائية بشكل عام على المبادىء والأشياء، والأفكار والنظريات والإيديولوجيات المفترضة صحتها مسبقاً وفي كل الأزمان والعصور ولا يقبل نقاشها وابداء الرأي في صحتها أو عدمها، وتطلق على مقنقي هذا المبدأ. ولكنها تطلق على كل المجتمعات الطبقية وخاصة عندما تدخل الدول مراحل أكثر درجات الرجعية من عمرها، ونشرها أو تصديرها إلى الدول الأخرى. أي أنها تطلق على سياسة الدول التي تحاول بسط هيمنتها على الدول والشعوب الأخرى سواء بناء على رغبة تلك الدول أو رغما عنها. وهي ظاهرة غير أخلاقية بشكل عام نتيجة استعمال القوة والعنف في تحقيق مصالحها ضد الدول الأخرى. وهي كلمة عالمية تستخدم كدعاية مضادة بين الدول المتنافسة على مصالحها.

**١٩- لعنة الاغاديين:** ملحمة سومرية.

**٢٠- آبيرو:** وتطلق باللغة السومرية على انسان الصحاري المغبرة.

**٢١- السامية:** كلمة تطلق على الصفة الغالبة على الشعوب ذات الاصل العربي واليهودي، وتنتمي الى العرق السامي.